



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



التجديد في علم الكلام
_ وحيد الدين خان أنموذجا _

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة إسلامية

المشرف:

د. جمال الأشراف

الطالبتان:

أحلام حذاقة

أسماء حساسنة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. معمر قول		جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د. جمال الأشراف		جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د. اعمارة نصيرة		جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى كل أفراد أسرتنا الذين تحملوا معنا الكثير من المعاناة، وصبروا علينا لتحقيق غايتنا ومرادنا. إلى من كان لها الفضل علينا بعد الله في إكمال مشوارنا الدراسي والتي تمنينا وجودها معنا أختنا في الله نور الهدى نيهي رحمها الله وجمعنا بها في الجنة.

إلى كل من ناضل بفكره وقلمه من أجل تطوير هذه الأمة.

أحلام _ أسماء

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله، الذي هدانا وما كنا لنهتدي فهدو وحده الذي يسر لنا سبل العلم لنتخذها
جسورا إلى الجنة بإذنه تعالى.

وعملا بقوله * صلى الله عليه وسلم * « من لم يشكر الناس لم يشكر الله ».

نتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل الدكتور جمال الأشراف الذي تكرم علينا بقبول الإشراف
على هذه المذكرة، فجزاه الله عنا كل خير.

كما نشكر كل الأساتذة الأفاضل الذين سهروا على تقديم العلم في سبيل الله عز وجل.

إلى كل من يسر لنا الطريق لإتمام هذا العمل المتواضع، ونخص بالذكر: كحلة نعيمة.

الشكر موصول إلى كل هؤلاء فجزاهم الله عنا خير الجزاء وجعله في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

ملخص البحث

واجهت الحضارة الإسلامية بعد الثورة العلمية، التي حدثت في أوروبا تصادم مع الحضارة الغربية، التي شهدت انفتاحا وازدهارا في مختلف الميادين خاصة العلمية منها، فأدت إلى استقطاب بعض عقول أبناء المسلمين الذين راحوا يجدون هذه الحضارة، مما أدى ببعض العلماء المسلمين بالمطالبة بتجديد علم الكلام يكون مواجهها لهذه الحضارة المادية، ومن ساهم في الجهد العلمي وحيد الدين خان الذي يرى ضرورة تجديد علم الكلام، حتى يكون موافقا لمتطلبات العصر ويكون مجيبا لكل تساؤلاته ومتطلبات الإنسان المعاصر، الذي يريد أن يبني معرفته على أسس الحقائق العلمية مع المحافظة على ثوابته الدينية من الزيغ، ولهذا سعى خان أن تكون مؤلفاته بلغة علمية بسيطة خالية من التعقيدات ومتماشية مع القرآن .

تهدف هذه الدراسة إلى بيان تجديد الكلامي عند وحيد الدين خان وقد اشتملت على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المبحث الأول: فهو مدخل نظري يتضمن التعريف بعلم الكلام ومراحل نشأته وأهميته وصولا إلى التجديد في علم الكلام، مفهومه، ومبرراته، وتاريخه.

أما المبحث الثاني: تناولنا فيه منهج التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان، وعرضه لآراء معارضي الدين ونقضها، وردوده على شبهات الماديين.

أما المبحث الثالث: فتطرقنا فيه لعرض بعض الموضوعات التقليدية التي ناقشها وحيد الدين خان (وجود الله - وجود الآخرة - إثبات الرسالة والقرآن)، وبعض الموضوعات الحديثة (التشريع - المرأة والمجتمع - التمدن).

الخاتمة: شملت حوصلة للنتائج المتوصل إليها، وأبرزها توظيف حقائق العلم التجريبي، واستطاع من خلاله الرد على معارضي الدين ونقدتهم.

Summary:

After the scientific revolution, which took place in Europe, the clash with Western civilization, which witnessed an openness and prosperity in various fields, especially scientific ones, led to the polarization of some of the minds of the Muslims who glorified this civilization. This led some Muslim scholars to renew the science of speech. In accordance with the religion and life to be confronted with this material civilization, Wahiduddin Khan took the issue of contemporary Islam, he believes that religion agrees with the mind and sanctifies science and development, so Khan sees the need to renew the science of speech, so as to meet the requirements of the age and be responsive to all questions and requirements of the contemporary, who wants to build his knowledge on the basis of scientific facts while maintaining his religious constants of the aberration, and so Khan sought to be in a simple scientific language without complications and consistent with the Koran

This study aims at the statement of the renewal of speech science at Wahiduddin Khan. The study included: introduction, three questions, and a conclusion.

The first topic: It is a theoretical approach that includes the definition of speech science and the stages of its inception and importance to the renewal in the science of speech, its concept, and its justification, and history.

The second topic: we discussed the approach of innovation in the science of speech when Wahiduddin Khan, and his offer to opponents of religion and veto, and responses to the suspicions of materialists.

As for the third topic, we discussed some of the traditional topics discussed by Wahiduddin Khan (the existence of God - the existence of others - the proof of the message and the Quran), and some modern topics (legislation - women and society - urbanization).

Conclusion: It included a link to the results obtained, which showed a single-religion approach as a scientific experimental method, which was able to respond to opponents of religion

مقدمة

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سدى، وإنما أمرهم ونهاهم، وجعل لبقائهم أجلاً ينتهي إليه ولأعمالهم يوم يلقونها فيه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد خاتم أنبيائه، وإمام رسله، وعلى سائر إخوانه النبيين، صفوة خلقه وقدوة أوليائه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

إن الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم يؤكد الحاجة الماسة إلى تجديد علم الكلام، نظراً لما تشهد الحضارة الغربية المادية التي ركضت علينا بخيلها ورجلها وأفكارها الإلحادية التي نشرتها، من شأنها أن تضعف عزيمة المسلمين، وتزرع الشك في نفوسهم اتجاه دينهم.

فدعا علماء المسلمين المعاصرين إلى تجديد علم الكلام، ومن بينهم وحيد الدين خان الذي دعا إلى تجاوز علم الكلام القديم وصور استدلاله لأنها لم تعد مواكبة لهذا العصر، واستبدالها بعلم كلام جديد قادر على الإجابة على كل الإشكالات التي يواجهها الإنسان المسلم المعاصر.

أولاً: الإشكالية: ما المقصود بتجديد علم الكلام؟ وما هو إسهام وحيد الدين خان في تجديد علم الكلام؟ ماهي أهم المسائل والقضايا التي ناقشها وحيد الدين خان ضد الماديين؟

ثانياً: أهمية الموضوع:

- كون هذا الموضوع يبحث في أشرف العلوم وأجلها هو علم الكلام.

- كون موضوع تجديد علم الكلام يلائم طبيعة هذا العصر ويواجه تحدياته.

- يبرز المنهج الذي استخدمه وحيد الدين خان في نقده لشبهات الماديين وطريقة استخدامه لمعطيات العلم الحديث في مواجهة الأفكار الإلحادية.

ثالثاً: أسباب اختيار البحث:

أ- الأسباب الموضوعية:

- التصدي لموجه الإلحاد التي تعصف بالعالم الإسلامي.

- الاستفادة من جهود العلماء الأعلام ومنهم-وحيد الدين خان- في مواجهة التيارات المعاصرة.

ب- الأسباب الذاتية:

- توسيع دائرة المعارف الشخصية حول هذا الموضوع للإفادة والاستفادة.

- الرغبة في إثراء الساحة الفكرية بعمل علمي نافع في هذا المجال .

رابعاً: أهداف البحث:

- إبراز المنهج الذي اتبعه وحيد الدين خان في رده على الملاحدة والماديين.

- معرفة الأدوات التي يستخدمها الماديون في العصر الحديث في نقدهم للدين ومحاولة الرد عليهم بنفس الأسلوبهم العلمي، حتى يكون له الأثر الطيب على عقول المخاطبين.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد عملية بحث طويلة أمكننا العثور على بعض الدراسات ذات الصلة بموضوعتنا وهي:

1) **صالح نعمان:** "تجديد علم الكلام عند وحيد الدين" وهو مقال منشور في جامعة قسنطينة، هذه دراسة جيدة من ضمن الرسائل التي اهتمت بتجديد علم الكلام، إلا أن هذه الدراسة لم تحط بكل جوانب التجديد عند وحيد الدين خان، فلم يذكر إنكار الملاحدة للقران ومشاكل العصر الحديث كالتمدن والمرأة.

2) **نعيمه بن أحمد:** تجديد المنهج في علم الكلام، المنهج العلمي أنموذجا دراسة تحليلية نقدية، وهو عبارة عن رسالة ماستر، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية: أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2011م/2012م. إلا أن هذه الدراسة اهتمت بمناهج المتكلمين وخاصة العلمي، وتناول موضوع التجديد عند وحيد الدين خان في جزئية بسيطة لم تحط بالموضوع

بشكل تام، فهي لم تتطرق إلى ذكر بعض الشبهات الملاحدة ونقد وحيد الدين خان لها مثل الصدفة، أزلية المادة وغيرها.

(3) نوال طه ياسين: دور منهج المعرفة العلمية في تأسيس علم كلام جديد عند وحيد الدين خان، مقال منشور في مجلة آداب البصرة العدد 69 / 2014.

سادسا: أهم المصادر والمراجع:

استخدمنا خلال هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

(1) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى.

(2) وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم.

(3) وحيد الدين خان: البعث الإسلامي.

(4) شبلى النعماني: علم كلام جديد.

(5) فرج الله عبد الباري: العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية.

سابعا: منهجية البحث:

لقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي بالإضافة إلى المنهج الوصفي وفق الإجراءات التالية:

أ- المنهج الاستقرائي: ولقد استعملناه في البحث من خلال تتبع

واستقراء كتب وحيد دين خان، بالإضافة إلى استقراءنا لكتب - التجديد الكلامي -

ب- المنهج التحليلي: لقد استخدمنا هذا المنهج عند عرضنا لآراء

المعارضين للدين وعرضنا آراء وحيد الدين خان في الرد عليهم.

ت- المنهج الوصفي: وقد استعملناه في بعض التعريفات، وعند وصف

بعض الشخصيات.

ثامنا: صعوبات البحث:

واجهتنا صعوبات خلال عملية البحث إلا أن الصعوبة الجديرة بالذكر هي صعوبة الحصول على كل كتب وحيد الدين خان، التي ستكون مفيدة أكثر لعملنا.

تاسعا: خطة البحث.

قسمنا هذا البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، والخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

المطلب الأول: نبذة حول علم الكلام

المطلب الثاني: التجديد في علم الكلام

الفرع الأول: التجديد لغة.

الفرع الثاني: التجديد اصطلاحا.

الفرع الثالث: المقصود بتجديد في علم الكلام.

المطلب الثالث: تاريخ التجديد في علم الكلام.

المطلب الرابع: مبررات التجديد في علم الكلام.

المبحث الثاني: منهج التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان.

المطلب الأول: تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان.

المطلب الثاني: عرض قضية معارضي الدين ونقدها.

المطلب الثالث: رد وحيد الدين خان على بعض الشبهات الماديين.

المبحث الثالث: تحليلات المعرفة العلمية عند وحيد الدين خان.

المطلب الأول: الموضوعات التقليدية.

الفرع الأول: طريقة الاستدلال على وجود الله.

الفرع الثاني: طريقة الاستدلال على وجود الآخرة .

الفرع الثالث: طريقة الاستدلال على وجود الرسالة.

الفرع الرابع: طريقة الاستدلال على إعجاز القرآن

المطلب الثاني: الموضوعات الحديثة.

الفرع الأول: التشريع.

الفرع الثاني: المرأة والمجتمع.

الفرع الثالث: التمدن.

الخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

المطلب الأول: نبذة حول علم الكلام

المطلب الثاني: التجديد في علم الكلام

المطلب الثالث: تاريخ التجديد في علم الكلام

المطلب الرابع: مبررات التجديد في علم الكلام

المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام.

علم الكلام من العلوم التي نشأت في الدائرة الإسلامية وقد لعب دور مهم في الحفاظ على العقيدة الإسلامية إلا أن هذا العلم بمرور الزمن تعرض لركود نتيجة لعوامل، مما استدعا إلى تجديده. وفي هذا المبحث سنقدم نبذة حول علم الكلام القديم كمدخل عام ومن ثم نتطرق إلى الحديث عن التجديده.

المطلب الأول: نبذة حول علم الكلام

يحتل علم الكلام مكانة كبيرة في دائرة العلوم الإسلامية وقد عرّف ببعض التعريفات منها تعريف الفارابي: " صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزيف ما خالفها بالأقوال¹."

فالمأمل في هذا التعريف يجد ان علم الكلام يقتصر فقط على الخواص من الناس فهو علم ينتصر به لكتاب الله وسنته الشريفة ومبطل للأكاذيب التي قذفت بها الشريعة الإسلامية.

ولقد نشأ هذا العلم في الحضارة الإسلامية لأسباب منها ما هو ديني كاختلاف المدارك في النصوص الدينية، ومنها ما هو سياسي مثل مسألة الإمامة، وهناك عوامل أخرى وافدة من الخارج إلى الحضارة الإسلامية منها التقاء المسلمين بأصحاب الديانات والحضارات الأخرى، وحركة الترجمة وغيرها.²

وتكمن أهمية هذا العلم في أنه يرفع من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، ويرشد المسترشدين بإيضاح الحجة ودحض شبه المعاندين، يحفظ قواعد الدين من الزلل وعليه تبني العلوم الشرعية الأخرى، ويصحح نية أعمال العباد والاعتقاد.³

¹ - انظر: أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط: 1996، 1، ص 86.

² - انظر: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، في علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة القاهرة، لا. ط، لا. ت، ص 10-19-23.

³ - انظر: عضد الله والدين القاضي عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لا. ط، لا. ت، ص 08.

ويدرس علم الكلام موضوعات تتعلق بذات الله تعالى، ويبحث في صفاته وأفعاله في الدنيا كحدوث العالم، وفي الآخرة كالحشر، وأحكامه فيهما كبعث الرسول ونصب الإمام والثواب والعقاب.⁴

وقد مر علم الكلام بمراحل مختلفة نذكرها فيما يلي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة قدماء المتكلمين، كواصل بن عطاء وغيره.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتأثر بالمصطلحات اليونانية، وخاصة عند المتأخرين منهم كالعلاف، حيث ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وكانت المباحث الكلامية في هذه المرحلة منتشرة حسب موضوعاتها، التي يتفق الكلام فيها دون وضع قواعد صريحة لهذا العلم، كما خلت هذه المرحلة من الاستعانة بعلم المنطق الأرسطي.

المرحلة الثانية: هي المرحلة التي دخل فيها الأشاعرة معترك الكلام مكان المعتزلة، حيث وضع فيها قواعد علم الكلام ومقدماته التي يحتاج إليها الدارس.

المرحلة الثالثة: حيث تميزت هذه المرحلة بمناقشة كلام الفلاسفة، وإدخال ذلك في علم الكلام، كما تميزت باستعمال المنطق الأرسطي في مقدمات علم الكلام ودراسة أدلته وبراهينه.

المرحلة الرابعة: تميزت هذه المرحلة بخلط بين مذاهب الفلسفة والكلام واشتباه الأمر فيهما.⁵

فمرور علم الكلام بمراحل أدى إلى أن فقد قيمته ومهمته التي نشئ من أجلها مما أدى إلى ضرورة تجديده.

المطلب الثاني: التجديد في علم الكلام.

الفرع الأول: التجديد لغة.

التجديد فعل مشتق من جدد، يقال تجدد الشيء أي صار جديداً، وهو نقيض الخلق ويقال عن الليل والنهار جديدان لأنهما لا ييليان أبداً.⁶

⁴ - مصدر نفسه، ص 07.

⁵ - انظر: محمد العبد، وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، لا.م، ط1، 1408هـ/1987م، ص36-

إذا فالجديد هو نقيض القديم.

الفرع الثاني: التجديد اصطلاحاً.

تعددت التعريفات حول مفهوم التجديد، حيث عرّفه العلقمي: "بمعنى تجديد إحياء ما ندرس من العمل من الكتاب والسنة، لأمر بمقتضاه"⁷ وعرّفه المودودي: "أن التجديد هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان"⁸

وعرّفه القرضاوي بقوله " أن التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد "⁹ وقال كذلك: "بأن التجديد لا يعني أبداً التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به، وترميم ما بلي منه وإدخال التحسين عليه، ولولا هذا ما سمي تجديداً لأن التجديد يكون لشيء قديم. "¹⁰

فالتجديد يعني إحياء الدين بشكل يجعله مواكب لهذا العصر.

الفرع الثالث: المقصود بتجديد علم الكلام.

المقصود بتجديد علم الكلام تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة، ويجب عن الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي.¹¹

⁶ - محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ص 111.

⁷ - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج2 ص281.

⁸ - أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر الحديث لبنان، ط2، 1386هـ/ 1967م، ص52.

⁹ - يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدين، طبعة دار الشروق الأولى القاهرة، لا.ط، 1421هـ / 2003م، ص30.

¹⁰ - يوسف القرضاوي، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1419هـ/ 1999م، ص29-30.

¹¹ - محمد خير حسن العمري، علم الكلام بين الأصالة والتجديد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 3/أ، 2009م، ص343.

وعرفه مرتضى مطهري بقوله: "أن التجديد في علم الكلام هو العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي يتم تحديد ما هو من أصول الدين وما ليس منها وكيف وبأي دليل يتم إثبات ذلك ومن ثم يتحمل علم الكلام مسؤولية الإجابات الشافية على الشكوك والشبهات الواردة على هذه الأصول".

فالتجديد في علم الكلام ما هو إلا امتداد لعلم الكلام القديم، في التعريف والموضوع والأهداف ذاتها،¹² ولا يعني سوى دمج المسائل الجديدة واستيعابها، في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام، فمتى ما انضمت مسائل أخرى لعلم الكلام تجدد هذا العلم، فيما ذهب غيرهم إلى أن مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضم المسائل الجديدة فحسب، وإنما يتسع ليشمل التجديد في المسائل والهدف واللغة والمباني والهندسة المعرفية.

فالتجديد في المسائل يعني ظهور مسائل جديدة لم تكن معروفة من قبل نتيجة للشبهات المستحدثة التي ينجم عنها نمو وتطور علم الكلام نفسه.¹³

وتحديد الهدف: يعني تغير الغاية التي كان يسعى إليها علم الكلام القديم التي تتمثل في وظيفتي الدفاع والتحصيل، فإن علم الكلام الجديد يسعى بالإضافة إلى هاتين الوظيفتين إلى وظيفة أخرى وهي وظيفة تبين حقيقة الإيمان الديني.¹⁴

أما تجديد المنهج: يعني التحرر من منهج واحد وهو الجدلي والانفتاح على مناهج متعددة في البحث الكلامي.

¹² - نقلاً، مريم بوخاري وعبد الغني عكاك، تجديد علم الكلام بين أصول المرجعية الدينية والمناهج التحديثية الملتقى الدولي الثالث للقراءات الحداثيّة للعلوم الإسلامية، رؤية نقدية جامعة الجزائر 04-05 ربيع الآخر 1440هـ، 12، 13 ديسمبر 2018م، ص1767.

¹³ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2016م، ص42-43.

¹⁴ - انظر: محمد شقير دراسات في الفكر الديني فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادي، لبنان - ط1، 1429هـ/2008م، ص16.

والتجديد في مصطلح الكلامي: يعني الانتقال من لغة المتكلمين القدامى، وألغازها إلى لغة حديثة تستقى من المكاسب الجديدة للمعارف والعلوم والفنون والآدب، وتعبّر عن الفهم الجديد للطبيعة البشرية، وحقوق الإنسان وحرياته.

أما التجديد في المباني: فإن المتكلم اهتم سابقا بترسيم مبان خاصة في المعرفة تستند إلى المنطق الأرسطي وبعض من ميزات الفلسفة اليونانية، وجعلها ممهدة للمباحث الكلامية، ولكن سرعان ما انهارت هذه المباني حين افتتحت الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة ثغرات كبيرة اخترقت جدران الواقعية الأرسطية، وتعرض المفهوم التقليدي للعقل إلى عاصفة نقدية، واكتسبت من بعده صياغات متنوعة بالإفادة من معطيات العلم والتطور العميق في الفيزياء والعلوم والمعارف البشرية كل ذلك يدعو إلى استئناف النظر في المباني والمرتكزات الماضية لعلم الكلام.¹⁵

أما في الهندسة المعرفية فالتغيرات التي تعرضت العلوم لها لم تكن محصورة في نطاق المسائل والمنهج والمبادئ، بل تعدتها لتشمل مجموع هذه لأمر، فأصبح التحول شبه كامل وشامل في بنية العلم التي أصبحت متحولة ومعدلة، ولهذا يطالب علم الكلام بتقديم أجوبة علمية لنفسه عنه.¹⁶

ويتضح مما سبق أهمية التجديد في علم الكلام وتطوره في جوانب متعددة، بحيث يكون دورا هاما في الحياة المعاصرة.

المطلب الثالث: تاريخ التجديد في علم الكلام:

تعود بذور التفكير الجديد الأولى على الساحة الإسلامية إلى القرن التاسع عشر للميلاد، أي أنها تعود إلى زمن شروع التحديات الفكرية والثقافية الغربية التي صاحبت الاستعمار الغربي الفرنسي والبريطاني للعالم الإسلامي.

وقد كان للمستشرقين دور هام في تكوين هذا الجو العام من الانتقادات والملاحظات التي وجهوها إلى جميع مجالات الثقافة الإسلامية، خاصة السنة النبوية الشريفة، وقد انبرى جيل من العلماء في تلك

¹⁵ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر نفسه، ص 43-44.

¹⁶ - حيدر حب الله، علم الكلام المركز العالمي للعلوم الإسلامية، لا. م، ط1، 1323هـ / 1381هـ، ص216.

الفترة للتصدي لهذا الهجوم الشرس الذي تعرض له الدين، وكان أبرزهم جمال الدين الأفغاني¹⁷ في رده على الدهريين ثم جاء بعده محمد عبده،¹⁸ ومحمد رشيد رضا،¹⁹ وغيرهم.

فقدّموا أبحاثاً هامة على هذا الصعيد حتى وصل الأمر إلى أمثال العلامة الطباطبائي،²⁰ ومالك بن نبي، وغيرهم من العلماء الذين زودوا علم الكلام بالدراسات الكثيرة والأبحاث القيمة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.²¹

أما بداية ظهور مصطلحات الكلام الجديد، فقد ظهر الأول مرة في عام 1906م كتاب العالم الهندي هو شبلي النعماني²² بعنوان الكلام الجديد، وقد لقي هذا الكتاب اهتماماً كبيراً فقد ترجم إلى الفارسية عن طريق محمد تقى فخر داعي الكيلاني، وطبعه في طهران عام 1950م بالعنوان نفسه، وكانت الترجمة هذا الكتاب سبباً لاهتمام كبار الباحثين الإيرانيين بهذا الكتاب، كما طبع مترجماً إلى العربية مؤخراً بواسطة المركز القومي للترجمة.

¹⁷ - جمال الدين الأفغاني: جمال ابن عمر المكي (....1284هـ) (....1867م) دقيقة حنفي، له اشتغال بالتاريخ من أهل مكة كان مفتها ورئيس المدرسين بها. (خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج2، ص135).

¹⁸ - محمد عبده (1266-1323هـ/1849-1905م) محمود عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد الإسلام. (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج6، ص252).

¹⁹ - محمد رشيد رضا (1272-1954هـ/1825-1935م) محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل، الحسيني النسب صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. (خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/أمايو 2002، ج6، ص126).

²⁰ - الطباطبائي: (1272-1331هـ/1856-1913م) محمد باقر بن حسن الطباطبائي، متفقه من أهل النجف - له أرجوزتان مطبوعتان في علم الكلام إحداهما (ترشيح الأقاليم) والثانية (مصباح الظلام). (خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج6، ص49).

²¹ - أنظر مجموعة من المؤلفين، العقلانية الإسلامية والكلام الجديد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008م، ص14.

²² - شبلي النعماني: (1274 - 1332هـ) 1858-1914م باحث من رجال الإصلاح الإسلامي في الهند. برهيمي الأهل إعتنق الإسلام جده الثالث عشر (سيوراج سنك) وتسمى سراج الدين، (خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002، ج3، ص155).

والظاهر أن هذا الكتاب استطاع أن يجمع بين ذاكرتين في مشهد فكري طريف ذاكرة سنية تعود لصاحب الكتاب، والثانية شيعية تمثلت في الترجمة بكل النواحي والجوانب الثقافية لهذه الذاكرة، ولذلك انتشرت دعاوي تحديد الكلام أو الكلام الجديد في جميع أرجاء العالم الإسلامي المختلفة بكل أطيافه ومدراسه الفكرية.²³

أما في العالم العربي فقد تأخر ظهور مصطلح (علم الكلام الجديد) قياساً على الهنود والأتراك والإيرانيين، فعلى الرغم من أن بعض الباحثين يرى أن رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده هي في الحقيقة علم كلام جديد، فإن فهمي جدعان²⁴ كان من أوائل من صرح به كمصطلح، وذلك في كتابه (أسس التقدم الفكري عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث) والذي صدرت الطبعة منه عام (1979م) حيث انتقدا مطولاً ما أسماه (علم الكلام التقليدي أو علم الكلام الكلاسيكي) ثم قال:²⁵ "لقد أدرك بعض المفكرين المسلمين المحدثين (إشكالية) علم الكلام، فراحوا يبحثون عن (علم كلام الجديد) - إن أمكن القول - علم للكلام يكون للتوحيد فيه وظائف جديدة، ويكون علماً محرراً للإنسان، وعلماً صافياً من الشوائب ... وذلك بالتأكيد على أن المطلوب ليس هو (العلم بالله) أي بوجوده، وإنما (الاتصال) به والتحديد الصلة به عن طريق توفير الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويسترد الحياة فينتصر على الخمول والعطالة".²⁶

وفي إيران تم ظهور مصطلح (علم الكلام الجديد) مع ترجمة كتاب شبلي النعماني السابق الذكر ونشره سنة 1950م، لكن ظهر اتجاه جديد في التفكير الكلامي برز في آثار العلامة محمد حسين الطباطبائي وتلميذه الشهيد الشيخ مرتضى المطهري، فقد عمل الأخير كثيراً لإرساء أسس منهجية لعلم الكلام، وكتب وتصورات أولية بشأن تلك الأسس، كما اهتم مرتضى المطهري بترسيم مفهوم علم الكلام الجديد، ولذا نجده قد تناول هذا المصطلح في آثاره ومؤلفاته، ففي طريق بحثه لوظيفة علم

²³ - أنظر: علي بن مبارك، الحاجة إلى تحديد علم الكلام، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، د.ط، 2005م،

ص 6.

²⁴ - فهمي جدعان: ولد في عين غزال (فلسطين) 1940م، دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس شغل وظائف رئيس

قسم الفلسفة وعميد البحث العلمي بالجامعة الأردنية، وعضوية مجلس إدارة معهد العرب بباريس.

²⁵ - أنظر: علي محمود العمري: الكلام بين قديمه وحديثه مقارنة منهجية العدد، العدد 5/4، 2017م/2018م، ص 246.

²⁶ - فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق عمان، الأردن، ط3، 1988م،

ص 201.

الكلام، يحدد المطهري وظيفتين لعلم الكلام الأولى تمثلت في رد الشبهات الواردة على أصول وفروع الدين، أما الوظيفة الثانية تمثلت في بيان الأدلة على الأصول وفروع الدين، ثم يشير إلى أن اقتصار علم الكلام القديم على هاتين الوظيفتين يدل على غيابه عن الشبهات المتجسدة في هذا العصر، فضلا عن الشبهات الماضية التي أمست بلا موضوع، ووفر التقدم العلمي في هذا العصر الأدلة والبراهين الجديدة، التي لم يألّفها العقل سابقا، ويضيف أن الأدلة المتداولة الكثيرة بالأمس فقدت قيمتها، وعليه فإن المطهري أكد على لزوم (تأسيس كلام جديد).²⁷

وقد كان شبلي النعماني من أوائل الداعين إلى التجديد في علم الكلام، فقد ذكر هذا المصطلح في كتابه فيقول: "لقد كان علم الكلام القديم منصبا فقط على بحث العقائد الإسلامية لأن المخالفين للإسلام في ذلك العهد كانت اعتراضاتهم تتعلق بالعقائد أي دين، وعند الأوروبيين لا تكون جدية بالاعتراض إلى هذا الحد ما لم تكن هذه المسائل قانونية وأخلاقية في رأيهم أن إباحة تعدد الزوجات والطلاق والسرقة والجهاد في الدين هو أكبر دليل على بطلان هذا الدين"²⁸

فقد أدرج النعماني في هذا الكتاب مسائل جديدة، مثل حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، بجوار مباحث وجود الباري، والنبوة، والميعاد، والتأويل وغير المحسوسات، كالملائكة والوحي وغيرها والعلاقة بين الدين والدنيا.²⁹

وقد يعتبر كتاب محمد إقبال (تجديد الفكر الديني) هو في علم الكلام الجديد، وذلك لانتقاده الشديد لللاهوت الكلاسيكي، وسعيه في التأصيل لمنهج معرفي جديد.³⁰

وفي عام 1964م ذكر العالم الهندي وحيد الدين خان،³¹ في مقدمة كتاب (الإسلام يتحدى) السبب والمبررات التي دعت له لتأليف هذا الكتاب فأكد على ضرورة التحرر من منهج علم الكلام القديم لأن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغير بتغير الزمان.³²

²⁷ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، دار الهادي، مكتبة مؤمن من قريش، بيروت، د. ت، ص 29.

²⁸ - انظر: شبلي النعماني، علم كلام جديد، ص 181-182.

²⁹ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، ص 29.

³⁰ - انظر: علي محمود العمري، الكلام قديمة وجديدة مقارنة منهجية، مرجع سابق، ص 246.

إن آراء أحمد خان وآراء مفكرين آخرين ظهوروا في تركيا وإيران ومصر والمشرق العربي، أدت إلى تأجيج قلق عقائدي، دفع السبيل لبعث روح الكلام وإحياء علم الكلام، فعادت الحياة من جديد في التفكير الكلامي أما عن وعي المتكلم فبدأ يتحرر من الحواشي والشروح التي بقي صامتا حولها عن العلم مدة طويلة.³³

ومن خلال ما سبق لا نستطيع أن نقول أنه من قام بتحديث علم الكلام أو أن نشأة علم الكلام الجديد تعود لرجل واحد، لأن جميع المفكرين والمصلحين كان لهم دخل في إعادة بناء هذا العلم وإحيائه من جديد، فمنهم من عمل على تحديث المسائل، وآخر عمل على تحديث المباني، وثالث عمل على تحديث اللغة، ورابع أسهم في كل منها بنصيب.³⁴

لقد مر علم الكلام الجديد بأطوار مختلفة حتى أضحي علما مستقلا له خصوصية، وهي كالآتي:

- 1- **طور إحياء علم الكلام:** وتبدأ هذه الفترة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين وتميزت هذه الفترة أو المدة في الدعوة لإحياء علم الكلام، وأبرز أعلام هذه الفترة محمد عبده جمال الدين الأفغاني، عبد الرحمن الكواكبي، شبلي النعماني.
- 2- **طور الكلام الجديد:** وتبدأ بجهود المفكر الهندي محمد إقبال سنة 1928م، والتي تظهر في كتابة (تجديد التفكير الديني في الإسلام)، وكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية) عام 1964م، وكتاب الطباطبائي (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي)، وكتاب محمد باقر الصدر (فلسفتنا) سنة 1959م.

³¹ - وحيد الدين خان: ولد في أعظم كراه شرقي الهند عام 1925م، تلقى تعليمه في إحدى مدارس الإسلامية التي تعني بالعربية، وتعلم الإنجليزية حتى أتقنها، وألف مجموعة من الكتب منها: الإسلام يتحدى (محمد مجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف، ط4، ج3، ص318).

³² - انظر: علي محمود العمري، الكلام بين قديمه وحديثه مقارنة منهجية، ص246.

³³ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، مصدر سابق، ص24.

³⁴ - انظر: مصدر نفسه، ص29.

3- طور التأسيس المنهجي لعلم الكلام الجديد: وتبدأ هذه الفترة سنة 1971م بصدر

كتاب محمد باقر الصدر (الأسس المنطقية للاستقراء)، كما حصل انفتاح على مناهج متعددة

فاعتمد البعض على فلسفة العلم المعاصر، وعمل على توظيف معطياتها في تحليل العقيدة الدينية.

وبهذا يعمل علم الكلام الجديد على تنقية العقيدة من شغب المتكلمين القدماء الذي كان مبعثه التعصب المذهبي أكثر من الاختلاف الحقيقي، وهو لذلك القادر على اكتشاف المساحة الواسعة للأرض الفكرية المشتركة بين مذاهب وتيارات الفرق المختلفة حتى لا يغرق العقل المسلم المعاصر في مقولات لم يعد هناك مبرر لاستعادتها إلا لدراسي تاريخ علم الكلام الجديد.³⁵

والذي يظهر من الصعب تحديد الفترة الزمنية التي ظهر فيها علم الكلام، غير أن ما يلاحظ بعض المؤلفين أن يرجعون الى القرن التاسع عشر، أما عن تجديد كمصطلح فهم يؤكدون ظهوره مع ترجمة كتاب شبلي النعماني.

المطلب الرابع: مبررات التجديد في علم الكلام

طراً على علم الكلام القديم العديد من العوامل التي أدت إلى قصوره وجعلته بحاجة إلى التجديد نذكر منها:

1- هيمنة المنطق الأرسطي:

لقد سيطر المنطق على المتكلمين الفلاسفة بالرغم من رفضهم له، إلا أنهم قبلوه وتعاملوا معه كأساسيات في البحث العلمي وعليه بنوا علم الكلام، وركزوا على القياس الأرسطي وأشكاله، كقوالب أساسية في الاستدلال على المسائل والآراء، بحيث أصبح الخصمان يحاول كل واحد منهما نقض الآخر بالتوكؤ على أساليب المحاجة الأرسطية ذاتها فقاد ذلك المتكلمين خطأ في استعمال هذا المنطق وقد اتسعت مشاكل الإنسان المسلم واضطربت حياته، وتزعزعت منظومة معارفه فهذا المنطق الأرسطي لم يعد يفي بمقتضيات حياته المتجددة، لأنه لا يهتم بالواقع، وإنما يهتم بتناسق المعطيات فيما بينها في الذهن،³⁶ وإن كانت لا علاقة لها بالواقع، بل ولو كانت مخالفة للواقع.

³⁵ - انظر: نوال طه ياسين، دور المنهج والمعرفة العلمية في تأسيس علم كلام جديد عند وحيد الدين خان، مقال منشور في مجلة

آداب البصرة، العدد 29، 2014م، جامعة البصرة- كلية الآداب، ص 329-330.

³⁶ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام جديد مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2016م، ص 15-16.

2- النزعة التجريدية والفصال بين النظر والعمل:

لقد بالغ المتكلمون في استعمال المنطق في استعمال المنطق الأرسطي في علم الكلام حتى أدى إلى انحرافه على مساره فأصبح يبحث عن عوالم ذهنية، البعيدة عن الواقع ومتطلباته ومشاكله، فتغلبت بالتالي النزعة التجريدية الذهنية على المنحى الدافع في التفكير الكلامي وتحول علم الكلام إلى مشاغل عقلية تتوغل في صناعة آراء ومفاهيم لا علاقة لها بالحياة.³⁷

3- تفرغ علم الكلام من مضمونه الاجتماعي:

وذلك عبر قنوات المنطق الأرسطي لم يقتصر على تعميق البعد النظري في العقيدة وإنما تجاوزه إلى تفرغ عقيدة التوحيد من مضمونها العلمي، والتعامل معها كمفاهيم ذهنية مجردة لا علاقة لها بالواقع.³⁸

4- نسيان الإنسان في الكلام القديم:

لم يخصص المتكلمون في مؤلفاتهم مبحثاً خاصاً بالإنسان، يتناولون فيه نظرياً أصل الإنسان في سلم المخلوقات، أي المكانة والقيمة التي يمتلكها الإنسان بالنسبة إلى غيره، والغاية من وجوده، وحقوقه وحرياته، وطبيعة وظيفية وأنماط حياته، وثقافته، وعيشه، وعلاقتها بما يتشكل لديه من رؤية للعالم، وما يرتبط بذلك من مسائل.

على أن أهمية هذه القضية تكثر مع تطور الحياة الاجتماعية، وظهور ألوان القهر والاستبداد، وإهانة الإنسان والإنقاص من كرامته، وتنشأ على المفاهيم والقيم الرديئة السيئة، فإذا لم تتوفر لنا صياغة رؤية للعالم تطلعنا عن مكانة الإنسان، وتقوم بتحديد نوع العلاقة بالدين جاء ليكرم الإنسان ويهديه ويخدمه، حينها تصبح جميع المجهودات منها الدعوة إلى تحرير الإنسان مجرد شعارات لا مضمون لها.

يشتغل علم الكلام التقليدي في البحث عن الله وصفاته وكل ما يتصل به، بعيداً عن سيرة الإنسان، وحين يذكر الإنسان فإن الحديث لا يتعلق بطبيعة حياته، وأحزانه وأوجاع هذه الحياة ومتطلباتها، وآفاقها وأحلامها وآمالها.

³⁷ - مصدر سابق، ص 16.

³⁸ - محمد باقر الصدر، موجز أصول الدين، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، ط 1، بيروت، لبنان، دار الهادي، 1421هـ / 2000م،

وحلم الشخص البشري الأبدى بالحرية، وحاجته المزمنة لتأمين حقوقه، واحترام كرامته والتعامل معه على أنه المخلوق الأسمى والأشرف والأكرم في العالم، بل لا يكف التراث الكلامي عن تجاهل قيمة الإنسان، وعدم تذكر ذاته وكيان الإنسان الخاص.³⁹

يعتبر عدم وجود مبحث الإنسان في الكلام القديم أهم أحد التغيرات فيه، التي تركته يحوم حول مدارات مغلقة بعيدا عن التجربة البشرية، وهذا ما منع علم الكلام القديم من الحضور في الحياة.⁴⁰

5- تراجع دور العقل وشيوع التقليد في علم الكلام:

مع أن الكلام والفلسفة كل منهما يصنف في خانة المعارف العقلية، إلا أنه يوجد فرق كبير في نوع المنهج الذي يعتمد المتكلم، والمنهج الذي يعتمد الفيلسوف، فالثاني يعتمد على منهج البرهان يرتكز على مسائل مسلمة تستند إلى مقدمات يقينية، ويرى أن الحقيقة هي ما يتوصل إليه عن طريق البرهان، أي أنه لا يوجد حقائق من قبل القيام بالبحث والبرهان.⁴¹

بينما المتكلم يعتمد على منهج آخر مختلف يبنى على الإيمان بمسلمات قبلية، ذلك يقوم بالاستدلال على تلك المسلمات بمقدمات قد تكون يقينية وقد تكون غير ذلك.

لذلك يكون القياس المستعمل في البحث الكلامي جدليا، بمعنى يعتمد على مقدمات تتألف من المشهورات والمسلمات، لأجل إثبات ما هو مسلم الثبوت قبلا، أما عن القياس الذي يتم استعماله في البحث الفلسفي فيكون قياسا برهانيا يقوم بالاعتماد على مقدمات يقينية، من أجل إثبات الحقيقة، والتي هي ما ينتهي إليه الدليل إلا ما هو مسلم قبل الدليل.

لقد تراجع دور العقل تدريجيا في علم الكلام والسبب في ذلك يعود إلى انتهاز هذا النهج في الأبحاث الكلامية، وأيضا ترسيخ نزعة تقليد أعلام المتكلمين في كل مذهب، ومع أنه من المتداول التقليد في أصول الدين غير جائز إلا أنه التمسك بآراء الأشعري في أصول الدين على سبيل المثال عرف بنحو أضحى الدفاع عنها دفاعا عن الدين، والتفكير في غيرها تفكيراً خارج الدين، فجهز فرقة من دارسي

³⁹ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، ص29.

⁴⁰ - انظر: السيد محمد باقر الصدر، موجز أصول الدين، تج عبد الجبار الرفاعي، ط1، بيروت، لبنان، دار الهادي، 1421هـ/

2000م، ص25.

⁴¹ - انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر سابق، ص27.

الكلام بحد ذاتهم لكي يجاربوا أية محاولة للخروج عن الفكر الأشعري، ووصموا مثل هذه المحاولات بالابتداع والمروق من الدين.

وهكذا الحال مع غير الأشعري، من أعلام المتكلمين الذين أصبح تقليدهم وتبع أثرهم أحد الأعراف المتوارثة في القرن الأخير، مما أدى إلى تعطيل العقل الكلامي، وتوقف الإبداع والاجتهاد في علم الكلام.

هذه هي النتيجة الطبيعية للنهج الذي اختطه التفكير الكلامي والذي قاد إلى تقليد متكلمي ومؤسسي الفرق.⁴²

6- اعتماد الكلام القديم على الطبيعيات الكلاسيكية:

اعتماد الكلام القديم على الطبيعيات الكلاسيكية وهي المشكلات التي قام عليها هذا العلم، كذلك استند إلى معطياتها كحقائق ثابتة نهائية، لكن العلوم الطبيعية الحديثة ألغت هاته الحقائق، وبرهنت على أن الكثير من فرضيات تلك الطبيعيات وأفكارها أوهام محضة.

إضافة إلى ذلك، فإن الكلام التقليدي جميع أبحاثه كانت تدور حول مجموعة من المسائل فقط، مع تكرار نفس المسائل دائماً، والتفكير في حدودها، إلى أن تشكلت لهذه المسائل حدود صارمة، لم يقدم أحد على تخطيها حتى أصبح مدلول العقيدة هو تلك المسائل خاصة، واتخذ المتكلمون نسقا محددًا في ترتيبها، ولم يتغير هذا النسق في المدونات الكلامية، لا يطرأ عليه أي تغيير أو تطور في القرون الأخيرة، وعلى الرغم من أن العلوم والمعارف والحياة البشرية الأخرى تغيرت وتطورت، إلا أن علم الكلام أخفق في استبعاد مباحث أساسية أخرى، وبقي ينوء بتكرار مقولاته ومقدماته ذاتها.⁴³

7- العلمانية:

⁴² - نظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر سابق، ص 19-20.

⁴³ - انظر: مصدر سابق، ص 41.

التي تطلب بفصل الدين عن الحياة ومحاولة إبعاد الإسلام عن مجال الحياة وإحلال قوانين وضعية غريبة بدلاله، ليصلوا بذلك إلى تخلي عن العقيدة الإسلامية والخطر يمكن في تأثر بعض العرب بهذا الفكر مما استدعي إلى تحديد علم الكلام لمواجهة هذا التيار.⁴⁴

8- الاستشراق:

يعمل على قذف الشريعة الإسلامية بالشبهات، قصد تشويهها، تحريف حقائقها ليضعفوا عزيمة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم.⁴⁵

9- الحداثة وتداعيتها على الأمة الإسلامية:

محاولة بذلك تفرغ المسلم من الإيمان والتوحيد وتركه في ظلمات الشرك والإلحاد، وقد شملت الحداثة جوانب مختلفة من الحياة السياسية والاقتصادية، والفكرية والأدبية وغيرها.

مما أدى إلى تأثر بعض العرب وذلك بعد رجوعهم من البعثات العلمية في الغرب، مما استدعي أيضا تحديد علم الكلام.⁴⁶

وفي ظل هذه المبررات أصبح لابد من تحديد علم الكلام نظرا إلى للإشكالات المستجدة التي يواجه المسلم المعاصر .

نستنتج مما سبق أن علم الكلام من العلوم الإسلامية التي نشأت في الحضارة الإسلامية ولعب دورا فعالا في نصرة الإسلام إلا أنه تعرض لعوامل أدت إلى ركوده، مما استدعي إلى القول بتجديده من قبل بعض العلماء وذلك في القرن التاسع عشر.

⁴⁴ - انظر: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، العلمانية، وموقف الإسلام منها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 115، 1433هـ، ص355.

⁴⁵ - مصطفى السباعي، الاستشراق ما لهم وما عليهم، دار الوراق، مكتب الإسلامي، لا.م، لا.ط، د.ت، ص20.

⁴⁶ - انظر: علي رضا النحوي، الحداثة في منظور الإيمان، دار النحوي، الرياض، ط1، 1988م، ط2، 1989م، ص90.

المبحث الثاني: منهج التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان

المطلب الأول: تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان

المطلب الثاني: عرض قضية معارضي الدين ونقدها

المطلب الثالث: ردود وحيد الدين خان على بعض شبهات الماديين

المبحث الثاني: منهج التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان

في هذا المبحث سنذكر إن شاء الله منهج وحيد الدين خان في علم الكلام ونبرز طريقة نقده للمعارضين للدين وشبههم.

المطلب الأول: التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان:

اهتم وحيد الدين خان بقضية علم الكلام في العصر الحديث، واعتبره من العلوم التي يجب الاهتمام بها في هذا العصر، لكن بأدوات جديدة، بعيد عن تلك الأدوات التي كان يستعملها الأوائل من علماء الكلام، وقد أعطى وحيد الدين خان رؤية جديدة لهذا العلم، قوامها التفاعل مع هذا العصر وتحولاته الفكرية والعلمية. فعلم الكلام القديم الذي كان المعتزلة وغيرهم من المتكلمين القدامى، الذي كان يتوافق مع عصرهم وقضاياهم أدى أدوارا مهمة في محاجة خصومهم بفكرهم آنذاك. لكن في هذا العصر اختلفت الموضوعات والقضايا، التي كان يناقشها علم الكلام القديم، لهذا يجب أن يكون التجديد في علم الكلام كبيرا على ذلك العصر في كثير من جوانب الحياة، وأهم الأشياء التي يجب أن تكون طريقا لعلم جديد للكلام، هو تحديد المنهج والأسلوب، لأنه حصلت التغيرات، وكما يطلق عليها البعض انقلابات منهجية وتطورات فكرية وعلمية،⁴⁷ فالإنسان في العصر الحديث ينظر للعلم ويرفض طرق الاستدلال القديمة التي كان يستخدمها رجال الدين في الماضي، لأنها لم تعد تلائم هذا العصر الذي يؤمن بالطريقة الصحيحة والمعتمدة للاستدلال المقبول هي تلك التي أنتجها التفكير العلمي، ولذلك أصبح العقل الحديث يطالب بإخضاع الحقائق الدينية، لمقاييس علمية حديثة للاستدلال، وليست هذه مطالب المنكرين للدين وحدهم فقط، بل حتى كثير من المسلمين يريدون من باب ليطمئن قلبي أن يجدوا جوابا لتساؤلاتهم العلمية، حتى لا يعتريهم شعور بالنقص في صحة عقيدتهم.⁴⁸

⁴⁷ - انظر: عبد الله العليان، وحيد الدين خان، مفكر برؤية علمية منهجية (2) علم الكلام جديد كيف تأسس، جريدة

عمان، الصادرة يوم 06 نوفمبر 2017م

⁴⁸ - انظر: وحيد الدين خان الدين في مواجهة العلم، دار النفائس بيروت. ط1، 1401هـ / 1981م، ط4 1407هـ /

1987م، ص: 5 - 6.

فتجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان يقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

أولاً: أن التجديد الذي يعنيه ليس تجديداً في القضايا والمسائل، بل في المنهج والأسلوب، ذلك أن المسائل والقضايا العقيدية التي مصدرها الوحي، وليس العقل البشري، الذي تقصر مهمته في فهمها واستيعابها، وأما المنهج والأسلوب فهما يتغيران ويتطوران بتغير وتطور الزمان والمكان ومستويات إدراك الناس.⁴⁹

ثانياً: العقل الجديد، ويعني العقل العلمي أو العقلية العلمية، التي تهمها الحقائق، وتتمثل في تقديم علم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة لا على أساس التخمينات أو القياسات المنطقية، فإن الثورة التي حدثت في العصر الحديث تقوم على دراسة الحقائق الطبيعية وكل شيء مخترع سواء أكان دراجة أم طيارة، إنما هو عمل يتماشى مع هذه الحقائق، هذه هي الثورة التي قادت كل الثورات العقلية في هذا الزمان، وما من جانب في جوانب الحياة إلا وتأثر بها الثورة، حتى تغير أسلوب التحليل في هذا العصر، ومن الطبيعي أن يولي إنسان اليوم أهمية أكثر وزناً لأمر ثبت على أساس الحقائق العلمية، لقد سار إنسان اليوم في مدارج الرقي على أساس الحقائق، فالإنسان اليوم لا يصنع يقينه وطريقه إلا على أمور تثبتتها الحقائق، فالفكر الإنساني كان يقوم في الماضي على القياسات الفلسفية، ولكن الثورة العلمية وضعت فكره على أساس الحقائق العلمية، ومن هنا تبدأ الفجوة بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد، وتصل إلى حد القطيعة، فقد كان علم الكلام القديم على نمط الاستدلال الطبيعي.⁵⁰

ولهذا كان من الضروري تجديد علم العقيدة أو بالأحرى تجديد منهج علم العقيدة حتى تصل حقائق الدين الإسلامي إلى عقول الناس وقلوبهم. لأن حقيقة علم الكلام تتخلص في أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد أو العقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد.⁵¹

⁴⁹ - صالح نعمان التجديد في علم التوحيد عند وحيد الدين خان، مقال منشور في جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 74.

⁵⁰ - أنظر: وحيد الدين خان، البعث الإسلامي المنهج والشروط، تر، محسن عثمان الندوي، مراجعة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، ط 1، 1405هـ/1984م، ص 102.

⁵¹ - صالح نعمان، تجديد علم التوحيد عند وحيد الدين خان، مرجع نفسه، ص 75.

إذا كان نمط الاستدلال الجديد فهو جديد بالنسبة للأديان والأمم الأخرى، ليس جديدا للإسلام، لأن نمط الاستدلال القرآني إنما هو النمط نفسه الذي يعبر عن الاستدلال بالحقائق الطبيعية، إذا فعلم الكلام الجديد إنما هو علم الكلام القرآني⁵²، لأن علم الكلام هو محاولة لفهم وحدة العلم الموحى والعلم الكوني وفي الحقيقة لا توجد إشارة في الإسلام بوجود علم جديد وقديم، فهذا التقويم ما هو إلا خطأ المتكلمين، فعلم الكلام في حقيقة الأمر ما هو إلا تدوين المعقولات القرآنية ولكن متكلمي العصر العباسي رأوا أن تدوين هذا العلم ليس أكثر من تطبيق المعقولات الإسلامية الفلسفية البشرية والخطأ الذي وقعوا فيه فقسم علم الكلام إلى قديم وجديد، لأن المعقولات القرآنية والكونية لا يطرأ عليها أي تغيير على خلاف المعقولات الفلسفية البشرية القابلة للتغير بتغير الزمن، إن علم الكلام القرآني ثابت لا يتغير فشأنه شأن العقائد القرآنية لكن حين دَوّن، علم الكلام على أساس العلوم البشرية أصبح عرضة للقدم والجدة.⁵³

ومن المبادئ التي نادى بها خان في تجديد علم الكلام هو اتخاذ الأسلوب السلس البسيط للكلام، الذي يخلو من التعقيد والزخرف، البسيط السهل يسري وفق طبيعة الإنسان وينفذ في أعماقه ويسيطر على وجوده، بخلاف الكلام الصناعي المعقد الذي لا تستسيغه النفس البشرية ولا تستطيع أن تهضمه هضمًا صحيحًا.

لهذا دعا خان إلى العودة إلى الأسلوب القرآني، وعرض الإسلام على الناس بأسلوب علمي؛ لأنه هو أسلوب القرآن.⁵⁴

فمنهج وحيد الدين خان فالتجديد علم الكلام يعتمد على المنهج القرآني القويم.

⁵² - وحيد الدين خان البعث الإسلامي مصدر سابق، ص 102 - 103.

⁵³ - نعيمة بن أحمد، تحديد المنهج في العلمي أنموذجا دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماستر، كلية أصول الدين شعبة العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2011م/2012م. ص 59.

⁵⁴ - انظر: وحيد الدين خان، البعث الإسلامي، مصدر نفسه، ص، 116 - 117.

المطلب الثاني: عرض قضية معارضي الدين ونقدها:

هذه الركيزة أساسية لتحطيم الحواجز التي أقامها الملحدون بين العلم والدين، فلا يمكن دعوتهم إلى الإسلام في هذا العصر والاستدلال على العقائد الإسلامية من دون إبطال دعوة معارضي الدين وحججهم، وإثبات حقيقة الإيمان وأحقية الدين الإسلامي.⁵⁵

فيرى ملاحظة من العلماء إلى أن الدين شيء لا حقيقة له، وهو غريزة الإنسانية التي تبحث حقائق الكون وأسراره، فبرغم من هذه الغريزة المستحسنة، إلا أن المعلومات والوسائل انتهت بأجدادنا إلى إجابات غير صحيحة، وهي التي تحتويها الآن أفكارهم عن الإله والدين. فبعد التطورات العلمية الحاصلة أصلحت المعلومات الحديثة شيئاً كثيراً من المعتقدات الاجتماعية والحضارية، فقد حان الوقت لإعادة النظر في جميع ما وصل إليه أجدادنا من أفكار.

وبناء على هذا يدعي معارضو الدين أن التطور الذي بلغ به الإنسان أعلى مستوى الإنسانية، وهو نفي للدين من تلقاء نفسه⁵⁶

والسر في ذلك أن الأفكار المتطورة الحديثة تؤكد أن الحقيقة ليست إلا ما يمكن فحصه وتجربته علمياً، ولقد قامت قضية معارضو الدين على ثلاثة أسس: فأساس الأول بيولوجي، حيث يرى علماء البيولوجيا أن كل ما يحدث في الكون خاضع لقانون معلوم قانون الطبيعة، وقالوا أن الإله كان هو المحرك للكون، ثم فقطعت صلته بها،⁵⁷ أما الأساس الثاني، فهو علم النفس حيث ينسبون فكرة وجود لإله إلى اللاشعور الإنساني حيث اكتشف فرويد أن اللاشعور قد يقبل أفكاره، وقد يتدع مفاهيم خيالية لا حقيقية لها، كالتي تتعلق بوجود لإله، ودينه، وفكرة الجنة والنار التي تكبر مع الأطفال دون شعورهم، وأما الأساس الثالث، فيتمثل في تاريخانية الدين فيرى أن الدين ابن البيئة التي نشأ فيها الإنسان القديم عندما يضعف أمام العوامل الطبيعية: كالأمطار. والفيضانات، والزلازل، والأمراض

⁵⁵ - صالح نعمان، تحديد في علم التوحيد عند وحيد الدين خان، مصدر سابق، ص 80.

⁵⁶ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 10-11.

⁵⁷ - انظر: مصدر نفسه، ص 11.

فيستدع قوة افتراضية سماها الإله، وقدها، ورآها الوحيدة التي تنقذه من عوامل الطبيعة وآمن بهذه القوة يقول هكسلي: " فالدين الالهي هو نتيجة تعامل خاص بين الإنسان وبيئته"⁵⁸

لقد نقد وحيد الدين خان هذه الأسس التي جاء بها معارضو الدين لإبطال الدين بنفس طريقتهم العلمية.

فنقض الأساس الأول الذي قال به علماء البيولوجيا ولعل أهم ما يوجه إلى هذا الأساس من نقض هو الاختلاف الهائل بين ما يجيب عليه العلم من الأسئلة، وما يجيب به الدين فيتضح قصور العلم في تعليقه الظواهر، وهنا يبرز القول،⁵⁹ بأن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له، والذي اكتشفه ما هو إلا هيكل لظاهر الكون، فالعلم الحديث يفصل ما يحدث، وليس بتفسير لهذا الواقع فكل مضمون العلم هو الإجابة عن السؤال ما هذا؟ وليس لديه إجابة عن السؤال لكن لماذا؟

ويستشهد خان بقول سيسيل بابس هامان، أستاذ أمريكي في البيولوجيا يقول: " كانت العملية المدهشة في صيرورة الغذاء جزءاً من البدن تنسب من قبل الله، فأصبحت اليوم بالمشاهدة الجديدة تفاعلاً كيميائياً، فهل أبطل هذا وجود الإله؟ فما القوة التي أخضعت العناصر الكيميائية لتصبح تفاعلاً مفيداً؟ إن الغذاء بعد دخوله في الجسم الإنساني يمر بمراحل كثيرة خلال نظام الذاتي، ومن المستحيل أن يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض. فقد صار حتماً علينا بعد هذه المشاهدات أن نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلقت بها الحياة". ونقض الأساس الثاني، الذي يتمثل في علم النفس يقول إن الدين نتاج اللاشعور الإنساني، ويرد وحيد الدين خان على هذا القول بأن قول العلماء بأن الذهن الإنساني يحتفظ بأفكار قد تبدو فيها بعد في صورة غير عادية. فهل يعتبر قياساً في محله كي نبطل الدين؟ لا فهو يعتبر استدلالاً غير عادي من واقع عادي. فهو عبارة على من يصنع صنما ثم يقول هذا هو الذي قام بخلق الإنسان.⁶⁰

⁵⁸ - انظر: غازي عناية، إساءة الحضارة الرأسمالية والشيوعية إلى الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ط، 1997م، ص، 34-35.

⁵⁹ - انظر: مجموعة من المؤلفين، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ضد المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ط1، 1996م، ص323.

⁶⁰ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 19 - 24.

ومن معاييب الفكر الحديث أنه يستنبط من حادث عادي دليلا غير عادي، فهذا الدليل لا وزن له من الناحية المنطقية، وأن اللاشعور الإنساني من الواجهة العلمية فراغ في أصله، لا يوجد به شيئا قبل ولادة الإنسان، إنما يستقر فيه سوى المعلومات التي شاهدها الإنسان في حياته، ومن المستحيل أن يخزن حقائق لم يعلمها من قبل، فالأنبياء جاؤوا بحقائق لم يعلمها الخلق أبدية وغير معروفة.

أي زمان وقد أثبتت صحتها⁶¹ أما نقضه للأساس، الثالث فهو التاريخي الذي يتمثل في أن الاله فكرة من وحي العقل خان بأن أنهم لم يدرسوا الدين من وجه الصحيح، ولهذا يبدو لهم الدين غريبا. وأنهم ويعممون أحكامهم، بحيث تشمل كل الممارسات والأفكار التي تنسب إلى الدين أي دين، دون فحصها لمعرفة صحتها من خطئها، في أي مرحلة من مراحل التاريخ ثم يتأملون في ضوء هذا المحصول حقيقته، وكأن الدين في نضرم حقيقة اجتماعية، وليس حقيقة خارجية فوق الإنسان والمجتمع.⁶²

⁶¹ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام، يتحدى، مصدر سابق، 24.

⁶² - مجموعة من المؤلفين، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية و الاجتماعية، مرجع سابق، 235.

المطلب الثالث: ردود وحيد الدين خان على شبهات الماديين:

وفي هذا المطلب سنعرض بعض الشبهات التي قال بها الملاحدة لينكروا الدين ونبين طريقة نقدها:

أولاً: الارتقاء العضوي:

تعد نظرية الارتقاء العضوي من النظريات التي لاقت صدى كبيراً من قبل العلماء، حيث يرى داروين أن الباحث الطبيعي إذا تدبر أصل الأنواع، سيلاحظ أن الأنواع لم تخلق مستقلة منذ البدء بل نشأت من أنواع أخرى، وقد اعتمد داروين على مجموعة من الأحياء البحرية، ومن هذه وتلك وجد هناك تطور بين هذه الأنواع بالرغم من أن لها أصلاً واحداً أو بضعة أصول نمت وتكاثرت وتنوعت في زمن مديد بمقتضى قانون الانتخاب الطبيعي، هذا على الكائنات الحية أما عن الإنسان فقد ترك داروين مسأله معلقة، لكنه عاد فرأى أن ليس هناك من موجب لاستثنائية من قانون التطور قد تبعه مجموعة من الفلاسفة الماديين حيث يقول لل: " ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد، يوماً بعد يوم، بعد داروين، حتى إنه لم يبق شك لدى المفكرين والعلماء في أن هذه هي الوسيلة المنطقية الوحيدة التي تستطيع أن تفسر عملية الخلق وتشرحها ". يوضح الفيلسوف لل عملية تطور نظرية الارتقاء بعد داروين إلى غاية تحويلها إلى الوسيلة المنطقية الوحيدة لعملية الخلق. وبما أن الملاحدة لا يؤمنون إلا بالعلم التجريبي فقد نقض العلماء ووحيد الدين خان هذه النظرية حيث يقول خان بأن هذه النظرية لم تثبت صحتها عن طريق المشاهدة وبالتجارب⁶³ العلمية وحتى الحيوانات في الحديقة لم يلاحظ تطورها.⁶⁴ وأضاف العلماء نقدهم إلى هذه القضية بمجموعة من الردود منها:

1. أن الجماد غير قادر على تحسين نفسه بنفسه، بل يميل إلى التجرد أو الاستقرار ولا فائدة قط من الاعتماد على طول الزمن لأنه، يؤدي إلى الانحلال والتفكك، ويسبب انقراض المعادن وتفتت الصخور، فعامل الزمان هدام وليس بناء، وكذلك عدو التطور.

⁶³ - انظر: فرج الله عبد الباري، العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، دار الآفاق، القاهرة، ط1، 2004م، ص97.

² - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص45.

³ - انظر: وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص20.

2. تأكيد علماء الأحياء على أن ليس فقط الحياة تأتي من الحياة، بل على أن كل حي يأتي بحي مثله،⁶⁵ ولذلك فإن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية البقاء للأصلح،⁶⁶ ولا يمكن أبداً أن يفسر حدوث هذا الأصلح، وهذا ما جعل العلماء يذهبون إلى التطور،⁶⁷ أحسن سنن هذا الكون وأسراره التي ماهي في الواقع إلا من آيات على وجود الخالق في خلقه.⁶⁸ والانتخاب الطبيعي هو إحدى الطرق التي تسلكها بعض الكائنات في سبيل البقاء أو الزوال عن طريق الحياة، والتكاثر بين الأنواع المختلفة. أما الأنواع ذاتها التي يتم فيها الانتقاء فإنها تنشأ عن طريق طفرات تخضع لقوانين الوراثة ومظاهرها، وهذه القوانين لا تخضع للصدفة العمياء.⁶⁹

ثانياً: أزلية المادة:

يؤمن الملاحدة أن الكون قام بنفسه وأنه موجود منذ الأزل، وقالوا أنه نشأ من عناصر مادية واختلفوا فيما بينهم في تحديد هذه العناصر بين الماء والهواء والنار واستمرت هذه الفكرة إلى العصر الحديث، التي دعمت التجارب العلمية النزعة المادية، إلا أنه لسوء حظهم أن التجارب العلمية التي شهدناها هذا العصر أبطلت هذا القول، حيث أن العلم أثبت أن المادة ليست أزلية، وأن الكون له بداية وعلة في خلقه، فاكشافات بعض القوانين العلمية الحديثة نسفت القول بأزلية المادة.

وعلى سبيل المثال قانون الديناميكا الحرارية ومفاده "أن المادة إذا ضغطت سخنت وارتفعت درجة تعادلها الحراري وكلما ازداد عدد الانكماشات العظيمة للكون ازدادت حرارته ودرجة تعادلها الحراري.

ربما أن درجة حرارة الكون ودرجة تعادلها الحراري محدودتان في الوقت الراهن⁷⁰ فلا بد من أنه كانت له بداية، وأن مظاهر الكون المتمثلة في الشمس المشعة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بالحياة فكل

⁶⁵ - انظر: فريق من العلماء، خلق لا تطور الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، دار النفائس. لا. م، لا. ط، د.ت، ص 36.

⁶⁶ - انظر: وحيد الدين خان الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 23.

⁶⁷ - انظر: فرج الله عبد الباري العقيدة في مواجهة التيارات الإلحادية، مرجع سابق، ص 104.

⁶⁸ - انظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، تر: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت، ص 40.

⁶⁹ - مرجع نفسه، ص، 35.

⁷⁰ - انظر: فرج الله عبد الباري، العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، مرجع سابق، ص: 67-58.

هذا دليل على أصل الكون وأساسه ويدل على أن الكون له لحظة زمنية بدأ فيها⁷¹، فيقول خان: "أن شواهد الطبيعة أيضا تشهد أن الكون لم يكن أزليا، وأنه له عمر وهذا يتعارض مع إنكار موجود".⁷²

ثالثاً: الصدفة:

يؤمن الماديون بالصدفة التي خلقت هذا الكون لينكروا وجود الخالق، حيث يقول هكسل لو جلست ستة من القروء على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين، فلا تستبعد أن تجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون نتيجة لعمليات عمياء، تدور في الماء لملايين السنين.⁷³

ويقول برتراند رسل مؤيدا هذه النظرية المادية أن "ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير، إن نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده، ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة". ويقول أحد العلماء الأمريكيين "إن نظرية الصدفة ليست افتراضا، وإنما هي نظرية رياضية عليا، وهي تطلق على الأمور التي لا تتوفر في بحثها معلومات قطعية، وهي تتضمن قوانين صارمة للتمييز بين الباطل والحق، والتدقيق في إمكان وقوع حادث من نوع معين، وللوصول إلى نتيجة، هي معرفة مدى إمكان وقوع ذلك الحادث عن طريق الصدفة".⁷⁴

ويرد وحيد الدين خان على هذه النظرية "أن جميع العلوم تجهل أي صدفة أنتجت هذا الواقع العظيم ذا الروح العجيبة في الكون.

ولو افترض أن المادة أوجدت نفسها في هذا الكون، وأن تجمعها وتفاعلها من تلقاء نفسها، ففي تلك الحال أيضا لن نظفر بتفسير الكون، فإن صدفة أخرى تحول طريقنا، لأن الرياضيات التي أعطت

⁷¹ - نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، مرجع سابق، ص12.

⁷² - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 56.

⁷³ - انظر: المصدر نفسه، ص، 84.

⁷⁴ - انظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، مرجع نفسه ، 57.

نكتة الصدفة الثمينة، هي نفسها التي تنفى أي إمكان رياضي في وجود الكون الحالي، بفعل قانون الصدفة".⁷⁵

إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية وهي متكونة من خمسة عناصر هي: الكربون والأيدروجين والنيتروجين، والأكسجين والكبريت، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد أربعين ألف. لما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة 92 عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإن إمكانية اجتماع هذه العناصر الخمسة لتكوين جزيء من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرضية لا تهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة واحد إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه 160 مرة.⁷⁶ وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات، وينبغي أن تكون كمية المادة التي تستلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات. ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بالملايين لا تحصى من السنوات وقدرت بأنها عشرة مضروبة في نفسها 243 مرة السنين.

فكم يحتاج خلق الإنسان؟ وكم يحتاج خلق الحيوان؟ إذا كانت هذه الأرقام من أجل إنتاج خلية حية واحدة، من العجيب أن ينسب المادي الكون إلى المصادفة ولا ينسبه إلى الله بالرغم الإمكان الرياضي في توفر العلة اللازمة للخلق - عن طريق الصدفة - في نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء.⁷⁷

ونستنتج مما سبق ذكره في المطالب السابقة أن وحيد الدين خان دعوة في تحديد علم الكلام، تقوم على استخدام المنهج العلمي التجريبي في رده على الملاحدة والماديين.

⁷⁵ - أنظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص، 86.

⁷⁶ - أنظر: نخبة من العلماء، الله يتجلى في العصر العلم، مرجع سابق، ص، 15.

⁷⁷ - فرج الله عبد الباري، العقيدة في مواجهة التيارات الإلحادية، مرجع سابق، ص 95-96.

المبحث الثالث: تجليات المعرفة العلمية عند وحيد الدين خان

المطلب الأول: الموضوعات التقليدية

المطلب الثاني: الموضوعات الحديثة

المبحث الثالث: تجليات المعرفة العلمية في تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان:

حدد وحيد الدين خان جوانب التجديد في ، منها تجديد موضوعه مع المحافظة على بعض المواضيع المتعلقة بالدنيا والآخرة، فانقسمت الموضوعات التي ناقشها وحيد الدين إلى قسمين موضوعات تقليدية وموضوعات حديثة.

وفي هذا المبحث سنتطرق - بإذن الله- إلى بعض الموضوعات التقليدية والحديثة التي ناقشها وحيد الدين خان.

المطلب الأول: الموضوعات القديمة

الفرع الأول: طريقة الاستدلال إثبات على وجود الله:

اتبع وحيد الدين خان في طريقة الاستدلال على وجود الله باعتماده على معطيات العلم التجريبي، لتكون أقرب للعقل الحديث، ويرى أن الأسلوب المعاصر وهو الذي يتماشى مع منهج القرآن، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ "الأنبياء 30".⁷⁸

ففي هذه الآية دليل على ما يسمى في العصر الحديث بنظرية الانفجار العظيم، بما أن الله مطلع على الإنسان منذ ميلاده إلى وفاته وعليم به، فهو يخاطب المنكرين بأسلوب غير زماني، فيقول إن أدلة وحدانية الله موجودة وكائنة في نفس الكون الذي تشاهدونه بعيونكم فكيف تكفرون به؟؟.

وقد أجرى العلماء بحوث تفيد أن ثمة مجرات تندفع إلى اتجاه الخارج بسرعة فائقة، ثم اكتشف أن سائر المجرات تسير بسرعة إلى اتجاه الخارج، وأن بعض الأشعة الناتجة عن الانفجار الكوني البدائي.

⁷⁸ - انظر: نعيمة بن أحمد، تجديد المنهج في العلم الكلام المنهج العلمي النموذجي، ص 61.

وبعد هذه البحوث العلمية المتتالية، أصبحت هذه النظرية حقيقة ثابتة، وهذه النظرية دليل على وجود الله بقوانين الطبيعة لأن الكرة المادية الجامدة لا يمكن أن تتحرك إلى اتجاه الخارج بصفة منتظمة بدون محرك خارجي.

فالقرآن دعا إلى الإيمان بالله خالق هذا الكون، عن طريق المشاهدة، وليس كما أقام المتكلمون القدامى أدلة قياسية تحت ضغط عقليتهم الفلسفية.⁷⁹

فأكبر دليل على وجود الإله هو المخلوق، فالحقائق الطبيعية تدعو إلى الإيمان بالله وكذلك النظام العجيب في هذا الكون وأسراره الدقيقة لا يمكن تفسيره إلا أن قوة قد خلقت، وإن هذه القوة عقل لا حدود له، وأنها ليست بقوة عمياء.⁸⁰

فقد قدم وحيد الدين خان العديد من الشواهد الأخرى الدالة على وحدانية الله في هذا الكون والتي يرد بها على المعارضين للدين منها:

أ- نظرية التشكيك في الوجود.

تقوم هذه النظرية في التشكيك في كل شيء، فهناك مجموعة قليلة من المفكرين يشككون في وجود، ويعتقدون أنه لا للوجود الإنساني والكوني، وأن هذا الوجود عبارة عن عدم محض، ولا شيء غيره ذلك.

فهذه الشكوك في وجود الكون الذي يتخذ شكل نظرية وأدرية. وقد نقد وحيد الدين خان هذه النظرية فيقول: "فنحن عندما نفكر هذا دليل على أن لنا وجودا، وحين نصطدم في الطريق بحجارة ثم نتألم فهذا الواقع دليل في ذاته على أن هناك عالما موجودا ذاتيا خارج وجودنا".

فلو قام أحد يشكك نفسه في وجوده الذاتي ووجود الكون فسوف يعتبر ذلك حالة استثنائية مفردة، لا ترتبط بتجربة الملايين من جماهير الناس.

⁷⁹ - انظر: وحيد الدين خان، البعث الإسلامي، ص 108-109.

⁸⁰ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 51.

فقول أن ليس للكون في ذاته وجود خارج ذاتنا، فهذا ليس دليل ملزم بأنه لا وجود للإله.⁸¹

ب- الأنظمة المعقدة:

إن النظام الموجود في هذا العالم يتجسد لنا في صورة الواضحة من خلال أصغر ما في الكون وهي الذرة، التي تعد لا شيء بالنسبة للموجودات الأخرى.⁸² فهي لا تخضع للمشاهدة نظرا لتناهي وجودها لصغر حجمها، بحيث لا يمكن مشاهدتها ولا وزنها.⁸³ ومع هذا فإنها تحتوي على نظام عجيب، مشكلة مع بعضها ما يطلق عليهم بالإلكترونات، ومع هذا فإنها لا تتصل مع بعضها، بل يوجد فراغ كبير بينهم فهذا النظام الذري يستحيل قيامه بنفسه،⁸⁴ نظرا لوجود الدقة والتعقيد، التي لا يمكن تفسيرها إلا بالاعتراف بمهندس⁸⁵ عظيم، الذي وضع أسس وقوانين بمنتهى الدقة والروعة.

ت- تقليد الطبيعة:

معظم اختراعات الإنسان اليوم ماهي إلا تقليد للطبيعة والتي عاد العلماء لاستلهاها بعد عقود من العزوف عنها،⁸⁶ من أمثلة اختراعات الإنسان المشابهة للطبيعة آلة التصوير التي تشبه عين الإنسان⁸⁷، وكذلك صناعة السفن على نموذج الأسماك، وصنع الطائرات تقليدا للطيور وغير ذلك.⁸⁸

ث- الخلق والوجود:

الإنسان يؤمن بوجود الكون وعلى هذا الأساس من العلم والإيمان يقوم جميع ألوان النشاط العلمي والحيوي فإذا آمن الإنسان بوجود الكون فهذا حتما سيقوده إلى الإيمان بخالق هذا الكون لأنه لم

⁸¹ - المصدر السابق، ص52.

⁸² - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص62.

⁸³ - انظر: وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص12.

⁸⁴ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص62.

⁸⁵ - انظر: وحيد الدين خان، إمكانيات جديدة للدعوة الإسلامية، ل.ن، ل.م، ل.ط، د.ت، ص12.

⁸⁶ - انظر: عبد الدائم كحيل: الإعجاز في الطبيعة، دراسة تؤكد أن معظم الاختراعات تقليد للطبيعة، موسوعة الإلكترونيّة

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

⁸⁷ - انظر: وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص65.

⁸⁸ - انظر: وحيد الدين خان: البعث الإسلامي، مصدر سابق، ص16.

يوجد نفسه فكل شيء مهما بلغ حجمه صغيرا كان أم كبيرا، فإنه وراءه علة وقوة في خلقه فلا يوجد شيء جاء إلى الوجود من العدم.

ج- الكشوفات العلمية:

من ضمن الآيات الشاهدة على وجود الله وحدانيته الفلك، وما يحتويه من الكواكب التي لا عدا ولا حصرا لها، بالإضافة إلى هذا أنها تتحرك بسرعة كبيرة سواء أكانت مجموعات أو مثني، ومع هذا فإنها لا تتصادم مع بعضها، وكل في فلكه يسبح.

فالعقل لا يمكنه أن يدرك هذا النظام العجيب والدقيق دون أن يؤمن بأن هناك طاقة غير عادية تقيم هذا النظام وتهيمن عليه.⁸⁹

ح- روح الكون الغريبة:

إن الروح الموجودة في هذا الكون، والتي تقوم بتدبيره وتنظيمه وخلق التوازن فيه، ولا يمكن أن يتصور أنه يوجد نظام وروح في عملية مادية عمياء، حدثت اتفاقا بالإضافة إلى أنه يوجد حالات لا يمكن اجتماعها رياضيا، موجودة على سطح الأرض هذا ما يؤدي إلى الإيمان بوجود طاقة عاقلة متسببة في خلق هذه الحالات.

خ- خصائص حكمة:

خلق الله هذا الكون وهياًه ليكون صالحا لتصرفات الإنسان عند الضرورة، ولقد أعطى وحيد الدين خان أمثلة تؤكد على وجود حكمة في الكون، نذكر منها ما يتعلق بالنتروجين. حيث يقول: "إنه يوجد 78% في كل هبة من الرياح، وكذلك توجد في أجزاء كيميائية وأخرى، وتسمى حينئذ "النتروجين المركب" وهذه كلها يستغلها النبات لكي يهيأ لنا الجزء النتروجيني في غذائنا، فلولا هذه العملية، لهلك الحيوان والإنسان وكل ما يعتمد على النبات في أكله جوعا وفاقه، فلا يوجد نبات غذائي ينمو بدون هذا التحليل الكيميائي.⁹⁰

الفرع الثاني: طريقة الاستدلال على وجود الآخرة:

⁸⁹ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 53-57.

⁹⁰ - انظر: المصدر نفسه، ص 65-67.

يخبرنا القرآن الكريم أن هذا العالم ليس العالم النهائي بل يليه عالم آخر، ولو أنه في الغيب لكنه حقيقي واقعي، وليؤكد القرآن هذا القول قدم الأدلة بالعلم التجريبي، ووفقا لهذا عرض وحيد الدين خان هذه المسألة، ولأن الكثير من ينكر حصولها معتمدا على المنهج العلمي التجريبي.⁹¹

وسوف نعرض القضية في بعض الجوانب منها:

– إمكان الآخرة:

إن أول ما تقتضيه فكرة وجود الآخرة هو أن الإنسان والكون في الآخرة لا يكون في شكلها الحالي، أبديين وهذا ما يدل على أنه من المستحيل أن يكون الإنسان والكون أبديين، ونحن نوقن يقينا صادقا بأن الإنسان سيموت، وأن الكون سينتهي.⁹²

نضرب مثالا لما سبق: الصوت نحن نعلم أن الصوت هو عبارة عن موجات لا نستطيع أن نراها بالعين وحين نحرك ألسنتنا للكلام فإن حركتها تنشئ موجات في الهواء نطلق عليها (الصوت)، فالصوت صورة غير مرئية تحدث في الهواء بسبب تحريك ألسنتنا، وكلما تكلم الإنسان ظهر صوته في شكل موجات، وذلك بصفة دائمة حتى إن العلماء يرون أن كل صوت أخرجته أي إنسان قبل آلاف السنين وكل حديث أو خطبة ألقيت إلا وهي موجودة في شكل موجات في الأثير، حتى لو لم نرى تلك الأصوات أو نسمعها اليوم، فإذا توفرت أجهزة نستطيع التقاط تلك الأصوات، فيمكن إعادتها في شكلها أو صورتها الأولى في وقت ما.

من خلال المثال الذي سبق نستطيع أن نفهم قضية عالم الآخر بشكل واضح فكما يوجد غلاف للهواء يحيط بنا ترتسم فيه كل أصواتنا بعد خروجها من أفواهنا مباشرة، ونحن لا نرى إرتسام أصواتنا، كذلك أيضا بنفس الأسلوب يحيط بنا العالم الأخروي من أربع جهات، وهو الذي تسجل فيه نوايانا وإرادتنا بصوتة دائمة ومستمرة، ولا تزال أعمالنا معروضة على شاشة العالم الأخروي وسوف تظهر لنا بعد الموت".⁹³

⁹¹ – انظر: وحيد الدين خان، البعث الإسلامي، ص110.

⁹² – انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق ص96.

⁹³ – انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، الرسالة للإعلان الدولي، القاهرة، لا.ط، د.ت، ص23.

- مسألة الموت:

إن الذي لا يؤمن بالآخرة (العالم الثاني) يحاول بدافع غريزته، أن يجعل من الكون عالماً أبدياً، ولذلك فهو يبحث عن أسباب كثيرة تمنع وقوع الموت، من أجل أن يحظى بحياة خالدة، وبالرغم من محاولاته، إلا أنه أخفق في تحقيق هذا الأمر، وكلما حاول البحث مرة أخرى ليمنعه، إلا وجاءته رسالة جديدة عن حتمية الموت، وأنه لا مفر منه، وهناك سؤال ((لماذا الموت؟)) ... سؤال خطير ومهم يطرح كثيراً في المجالس العلمية وبوجد ما يقارب إلى مائتي إجابة لهذا السؤال نذكر منها:

(حينما يفقد الجسم فاعليته)، (انتهاء كمية الأجهزة التركيبية)، (تجمد الأنسجة العصبية)، (حلول المواد الزلالية القليلة الحركة، محل الكثيرة الحركة منها)، (ضعف الأنسجة الرابطة)، (انتشار السموم أو كما يعرف بـ "بكتريا" الأمعاء في الجسم) وغيرها من الأجوبة التي تدور حول ظاهرة الموت.⁹⁴

إن الجسم الإنساني دائماً في عملية تجدد، وإن المواد الزلالية الموجودة في خلايا الدم تطراً عليها عملية الإلتلاف، ثم بعد ذلك تقوم بالتجدد، وكذلك جميع خلايا الجسم، تموت ولكن تحل مكانها خلايا جديدة، اللهم إلا الخلايا العصبية، وقد أفادت دراسات البحوث العلمية أنه كل أربع سنوات تقريباً دم الإنسان يقوم بالتجدد تجدد كلياً، كما أنه جميع ذرات جسم الإنسان في بضع سنين تتغير، والحاصل مما سبق أن جسم الإنسان ليس هيكلاً وأنه نهر جار، أي أنه في ((عمل مستمر)).

لم تنجح تلك البحوث التي تقول بأن الموت أمر غير يقيني إمكانية عدم حصوله، فلم يبق إلا الاحتمال الذي أدته الأزمات، وهو القول بأن الإنسان يمكن أن يموت في أي عمر أي لا يوجد عمر محدد للموت، وفي أي زمن وكذلك للزمن لا يوجد زمن محدد ولم تقدر الحصول على أي شيء يمنع الموت بعد الجهود المبذولة.⁹⁵

- الظواهر الطبيعية:

⁹⁴ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 96-97.

⁹⁵ - انظر: المصدر نفسه، ص 97-98-99.

من بعد هذه الأحداث التي ذكرت سابقا، تبينت واتضحت مسألة نهاية العالم، فأصبح الجميع يعلم القيامات الصغرى التي تحصل على ظاهر الأرض، وهي التي ستحصل ثانيا على نطاق واسع، حتى تشمل الأرض المأهولة كلها.

إن الزلازل هي أقرب مثال للقول بإمكان وقوع القيامة، فباطن الأرض يحتوي على مادة حارة جدا، ترى حينما يقوم البركان بالانفجار، وهذه المادة التي نراها تؤثر بشتى الطرق على الأرض، فمنها ما تصدر أصوات غريبة ومختلفة، ما يكون على شكل هزات أرضية التي نحس بها، وهذا ما يطلق عليه بـ"الزلازل" وهذه الكلمة لها أثر كبير في حياة الإنسان القديم حيث نجد أنها تذكره بالخوف والرعب.

فالزلازل هي بمثابة ثورة تقيمها الطبيعة ضد الإنسان، البسيط الذي لا يستطيع أن يفعل شيء أمامها، فالأمر كله بأمر الله سبحانه، إن هذه الزلازل قيامة صغرى فحينما تقوم الأرض بالانفجار، وتصدر صوتها المخيف، ودويها الرهيب، وعندما تسقط الجدران، وسقف العمارات العالي المحكم، وحينما يصبح عالي الأرض سافلها، وأسفلها أعلاها، وحينما تصبح المدن المعمرة الكبيرة في وقت وجيز لا يتعدى الثواني القليلة عبارة عن خراب ودمار وحيثما عدد الموتى، وتصبح جثث فوق بعضها مرمية على الشوارع كأنها حيتان أو أسماك طافت على سطح البحر ذلك ما يسمى بقيامة الزلازل...

الآخرة فكرة تدل أو توحي على أن الكون سوف يندثر وينعدم، وهي تعني أن هذا العالم الصغير سيصبح كبيرا في حين آخر، فالقيامة حقيقة نعلمها موجودة في الأعماق، ونحن الآن ما نعرفه منها أنها ممكنة وليست بالمستحيلة الوقوع أو الحدوث، ومؤكد أننا في الغد سنلتقى بها بشكل واقعي.⁹⁶

إن هذا الوضع المدهش والمخير للقيامة يجعل الإنسان أمام خطر داهم، وذلك يوجب عليه التزود بمعلومات كافية حولها، فالإنسان يجد صعوبة في الحصول عليها، فيجب عليه إذن أن يكون يقظا دائما، لأنها ربما تحصل أمام عينة في لحظة في صورة انفجار عظيم⁹⁷

– قضية الحياة بعد الموت.

⁹⁶ – انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 99-100-101-102.

⁹⁷ – انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص 28.

لقد فتحت الكشوفات الحديثة اليوم آفاقا جديدة من الوقائع والحقائق التي يمكن من خلالها القول: إن وجود الروح - ككائن مستقل - وبقائها بعد فناء الجسم، لم يعد قضية وجدانية، بل أصبح حقيقة يمكن إثباتها عن طريق الدليل التجريبي.

لقد اكتشف العلم أن الجسم يتركب أو من مكوناته "خلايا" تنتهي في وجودها، ويقدر متوسط هذه الخلايا الموجودة في جسم الإنسان إلى ما يقارب عشرة مليار خلية.

وهذه الخلايا السابقة الذكر تتكسر وتندثر في كل حين، والذي يقوم بتعويض اجسامنا تلك الخلايا التي نفقدها كل يوم هو الغذاء، فالجسم في هذا مثل البناء الذي يتألف من مئات الملايين من قوالب الطوب، وهو يغير من الطوب الواحد بالآخر في كل لحظة.

فالروح جزء من الجسم تتغير بالتغيرات التي تحصل للجسم، بالضبط مثلما أن الآلة تتأثر بمجرد انكسار أحد تراكيبها، وأيضا مثلما تتأثر آلة الموسيقى عندما ينكسر أحد أوتارها، ولكن فيما يخص الروح وهذا لا يحصل، وهذا لا يدل على أن الروح شيء مخالف للجسم، وهي مستقلة في وجودها.⁹⁸

ومن خلال هذا يثبت أن كلمة الإنسان هي كلمة ليست اسما للجسم خاص يموت الإنسان إذا مات وإنما هي اسم خاص لروح تقوم بالاحتفاظ نفسها بوجود منفصل ومستقل عن الجسم وانتشار أجزائه، ولعل تغير الجسم وعدم تغير الروح دليل على أن الجسم فان وأن الروح لا تفنى.⁹⁹

ولو كان الموت دليلا على فناء "الإنسان"، نستطيع القول أن الإنسان مات بسبب حدوث التغير الكيماوي الذي يجرى في الجسم وهذا التغير يمر بمراحل، وإنه يعيش حياة أخرى جديدة بعد موته!

لم يسلم بعض الناس بهذا الاستدلال، وقالوا إن العقل، أو الإنسان ليس بشيء آخر، ولا يوجد إلا نتيجة علاقة الجسم بالعالم الخارجي وإن الأفكار والأمانى لا توجد خلال العمل المادي إلا كالحرارة التي توجد نتيجة احتكاك قطعتين من حديد!¹⁰⁰

⁹⁸ - انظر: وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 51-54-55.

⁹⁹ - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص 16.

إن سبب ذلك شيئين:

أولاً: لا تستطيع أن تفهم كيف للإنسان أن يبعث مرة ثانية بعد موته واندثاره في التراب.

ثانياً: أن العالم الموجود بعد الموت غير ظاهر لأنظارنا تماماً، فكل إنسان يرى العالم الحالي بأم عينه ولكن لا يوجد أحد رأى عالم الغد وعالم ما بعد الموت عالم الآخرة، لهذا لا يوجد لدينا يقين بأنه توجد حياة أخرى بعد هذه الحياة.¹⁰¹

إن الشك في إمكانية الحياة بعد الموت ينشأ لأن هناك تصور بأن النفس مجرد الوجود الجسماني الذي يظهر فقط، فيعتقد أن الجسم الذي يظهر متحركاً ويمشي على القدمين الإنسان الحقيقي والأصلي، فإن تغفن هذا الجسم وأصبح عبارة عن أجزاء منتشرة في التراب فلا يمكن بعثه في صورة إنسان مرة أخرى، ونحن بأعيننا نرى الموت يدرك الإنسان حياً، فيصبح لا يستطيع الحراك، وذلك لأن فاعليته وقدرته التي كان يملكها انتهت، ثم يدفن بعد ذلك في الأرض، أو يحرق ويلقى في الأنهار على حسب طقوس بعض الشعوب، ثم ماهي إلا أيام قليلة ويندثر جسمه وتقوم أجزاؤه بالانتشار ويصبح جزءاً من الأرض بعد أن تحول إلى ذرات واندثر حتى لا يتراءى لنا أي وجود له.

ما الأمر الغريب في حادث ظهر قبل ثم تكرر حدوثه مرة ثانية!

يقول وحيد خان: "وأية غرابة في هذا الحدث ونحن نرى أمثله كثيرة في هذا العالم المادي تشير إلى نفس الحقيقة وهي أن الحياة يمكن أن تعاد مرة ثانية، مثلاً: تأتي الأمطار في موسمها من كل عام لتكسو سائر أرجاء الأرض خضرة وجمالاً، ثم يأتي فصل الصيف ليقتضي على هذه الخضرة فتصبح الأرض مقفرة جرداء، إذا الأماكن التي كانت تغمرها الخضرة أصبحت ميادين جدداء قاحلة، وهكذا تنشأ حياة ثم تنتهي، ولكن إذا جاء موسم الأمطار في المرة الثانية وأمطرت السماء تدب الحياة في تلك الأعشاب لتبدأ حياة جديدة، فتغمر الخضرة من جديد الأرض الجدداء، وكذلك الأمر بالنسبة للإنسان، فإنه سيبعث ليحيا حياة جديدة بعد الموت".¹⁰²

¹⁰⁰ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 104-105.

¹⁰¹ - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص 11-12.

¹⁰² - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص 13-14.

وضع خان قضية الحياة بعد الموت بمثابة قوي تمثل في الأمطار في موسمها وفي فصل الصيف وكيف تأثر على الحضرة.

أنكر الفلاسفة (الروح) نكرانا شديدا، حتى إنهم قالوا إن (الشعور) ما هو إلا التفاعل والرد العصبي لما يحدث من حركة ونشاط في العالم الخارجي، ومن خلال هذه النظرية لا يمكن التساؤل عن إمكانية الحياة بعد الموت، وذلك لتحلل النظام الجسماني ولأن المركز العصبي في الجسم لم يعد موجودا، هو المسؤول عن التفاعل والتنسيق مع العالم الخارجي، وبناء على هذا، فإنهم يعتقدون أن نظرية الحياة بعد الموت أصبحت غير ذات أساس عقلي أو واقعي.

يقول وحيد الدين خان: "إنه لو كانت هذه هي حقيقة الإنسان، فلنجرّب أن نخلق إنسان حيا ذا شعور، ونحن - اليوم - نعرف بكل وضوح جميع العناصر التي يتألف منها جسم الإنسان، وهذه العناصر توجد في الأرض وفي الفضاء الخارجي، بحيث يمكننا الحصول عليها، علمنا دقائق (بناء النظام) الجسماني، وعرفنا هيكله وأنسجته ولدينا فنانون مهرة يستطيعون أن يصنعوا أجساما كجسم الإنسان، بكل مواصفاتها، فلنجرّب - لو كان معارضو الروح يصرون على حقيقة مبدئهم - ولنصنع مئات من أمثال هذه الأجسام، وليضعها في شتى الميادين، في بقعة الأرض الفسيحة، ثم للنظر ذلك الوقت الذي تمشي فيه هذه الأجسام وتتكلم وتأكل (بناء على تأثيرات العالم الخارجي)؟! ¹⁰³

يناقش خان مسألة الروح وأهميتها ليثبت لمنكريها (الروح) كيف أن جسم الإنسان لا يمكنه القيام بشيء لولا وجود الروح.

فهذا عن إمكان بقاء الحياة بعد الموت.

- ضرورة الآخرة:

¹⁰³ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 105.

إن الحياة ((الآخرة)) لها هدف عظيم، هو المحاسبة على الأعمال الدنيوية، خيرها أو شرها، وهذا يدل على أن الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الحياة الدنيا تسجل وتحفظ باستمرار من خلال نيته، وقوله وعمله كلها يتم تسجيلها كاملة ولو أردنا تسجيلها في الأثير أو الفضاء لاستطعنا عرضها مفصلة وفي أي وقت، وبهذا نعرف ما عمله الإنسان في الحياة الدنيا من خير أو شر.¹⁰⁴

والآخرة هي مكان الذي تظهر فيه نتيجة هذا الجانب الآخر للعمل الإنساني، فكما أن أحد جانبي عمل الإنسان يسبب ظهور بعض الأحداث أيضا الجانب الآخر لعمل الإنسان يخلق أحداثا أخرى، ولا يوجد فرق بينها فقط أن حوادث الجانب الأول نراها بأعيننا في نفس هذا العالم بينما أحداث الجانب الآخر نراها بعد الموت، كل من يعيش في هذا العالم منشغل بتحقيق نتيجة ما لنفسه عن طريق عمله، ولا يهم إن كان مشغولا في عمل ما أو عاطلا، فإنه سيحاول خلق رد فعل موافق لعمله أو معارض له، وسيبني الناس آراءهم حسب أخلاقه وعاداته، وعمل الإنسان يتصف بالاستقامة أو الاعوجاج على حسب استخدامه لقواه ويقوم بإثبات حقه أيضا فيما يبذل فيه جهده.¹⁰⁵

قد تخطر لنا أفكار وبسرعة ننساها، وبعدها يخيل لنا أنها انتهت ولم تعد موجودة ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة نراها خلال نومنا رؤى أو نتكلم عنها في حالات الهستيريا أو الجنون.

وهذه الأحداث تدل على أن هناك أطراف في الحافظة (العقل) لا نشعر بها، لها وجود مستقل بذاته وقائمة بنفسها.

ولقد تم إثبات أن جميع الأفكار تحفظ بشكل كامل من خلال التجارب العلمية ولا نستطيع أن نمحوها، وتم إثبات أيضا أن الشخصية الإنسانية لا تنحصر فيما نسميه (الشعور) بل هناك أجزاء أخرى من الشخصية الإنسانية تبقى وراء الشعور وهي تشكل جزءا كبيرا من الشخصية الإنسانية، بل هي الجانب الأكبر منها.¹⁰⁶

الفرع الثالث: طريقة الاستدلال على وجود الرسالة:

¹⁰⁴ - انظر: مصدر سابق، ص106.

¹⁰⁵ - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص20-21.

¹⁰⁶ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص106.

خلال عرض وحيد الدين خان لشواهد الرسالة اعتمادا على أسس أو نتائج العلم التجريبي التي تحصل عليها العلم المعاصر وذلك؛ لأن الإنسان تخير عبر كل تاريخ الرسل كيف أن الله يوحى إلى بشر، مما جعل العديد ينكرون هذه الحقيقة؛ لأنهم لم يروها بأعينهم المجردة، لكن العلم الحديث أو المعاصر جاء ليثبت الكثير من الظواهر والأحداث التي لا تتعلق بحواس الإنسان، وهذا ما يؤكد هذه الظاهرة:¹⁰⁷

يقول وحيد الدين خان: "إن هناك وقائع كبيرة جدا تجري من حولنا في كل لحظة ونحن نعجز عن إدراكها، أو سماعها أو الإحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية، وقد استطاع العلم الحديث أن ييسر لنا إدراكها بفضل الأجهزة العلمية التي اخترعناها، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب ضائر على بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك".

فقد دلل وحيد الدين خان على وجود الرسالة بطريقة علمية تقرب الصورة إلى ذهن القارئ.

وهناك بعض الأجهزة العلمية التي وصلت درجة التقدم فيها إلى أنها تقوم تسجيل صدام الأشعة الكونية في الفضاء!!

لقد اخترعت العديد من الآلات التي استطاعت إثبات أن بإمكانها معرفة الأحداث الكثيرة التي لا يمكن لنا أن نسمعها بالطرق السمعية التقليدية غير الحديثة.

وهذه الطاقة الخارقة التي تخص السماع وهبها الله لبعض الحيوانات أيضا ولا تتعلق فقط بالآلات العلمية الحديثة وطبيعة الحال ومما هو متفق عليه أن جهاز السماع الخاص بالإنسان له حدود وغير مطلق، مقارنة مع الأجهزة الخاصة ببعض الحيوانات لا تشبهها وتختلف عنها كل الاختلاف.

وهناك العديد من الأمثلة التي تثبت إمكانية وجود وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة.

وإذا كان الأمر كذلك فما الغريب في أنه يقوم إنسان ويدعي أنه يسمع صوتا من لدن ربه، لا يستطيع عامة الناس إدراكه(؟) بما أنه من الممكن وليس بالمستحيل وجود في هذا العالم أصوات

¹⁰⁷ - انظر: نعيمة بن أحمد، تجديد المنهج في علم الكلام المنهج العلمي أمودجا دراسة تحليلية نقدية، ص 64.

وحركات لا يمكن الآذان الإنسان سماعها وفي المقابل بإمكان الآلات تسجيلها؟ وبما أن يوجد رسائل تستطيع حيوانات إدراكها دون أخرى؟¹⁰⁸

إن الله تعالى قام بترتيب أمر اصطفاء الرسول والنبي من بني البشر نفسه مزودا بعلم الحقائق عن طريق الملائكة المطهرين.¹⁰⁹

لا يوجد اختلاف في الحقيقة بين المشاهدة وبين التجارب العلمية التي نقوم بها، فهو نتائج حتى من النتائج المتعددة التي شاهدناها وقمنا بتجربتها بطرق متعددة وفي أماكن مختلفة، فوجدنا أو استنتجنا بعد قيامنا بالتجارب أنه بإمكان الوحي أن يصبح واقع.

وقد ظهر أن تجارب الإشراق أو الاكتشاف ومعرفة الغيب لا تخص أو لا تتعلق فقط بالحيوانات، وإنما تتواجد في الإنسان "بالقوة".

فبإمكان عامل الإشراق أن يجعلك تنام وتضحك أو تبكي، كما أنه يستطيع أن يرسل إلى الآخر كلمات أو خواطر لا يعلمها، وهذه العملية لا يستخدم فيها الوسائل ولا يحس بهذه العملية إلا عامل الإشراق وصاحبه.

وكيف يمكن القول باستحالة وقوع نفس العملية بين العبد وربه؟ ونحن بعد إيماننا بالله واطلاعنا على هاته التجارب المكثفة والمتعددة من بينها عملية الإشراق لا يمكن لنا إنكار الوحي والإلهام.

يقول وحيد الدين خان: "إنه لما كان الإنسان يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر، على بعد غير عادي، وبدون استعمال أي واسطة مادية ظاهرة، فلماذا يستحيل تسجيل نفس العملية بين الإله وعباده؟ إن هذا المظهر من كفاءة قوى الإنسان وأمثله كثيرة لا تحصى، ليس إلا قرينة تجريبية تجعلنا نفهم علاقة الألفاظ والمعاني التي تربط العبد بالإله، عندما يرسل رسالاته".

هنا يؤكد خان على إمكانية وقوع الوحي بين العبد وربه وأنه أمر غير مستحيل.

¹⁰⁸ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 13-140-141.

¹⁰⁹ - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، ص 27.

والذي يجعل أنه من الضروري مخاطبة الله إنسان، ليقوم بمهمة تبليغ كلام الله للناس هو أن الرسول يخبر الناس بأمر من أهم الأمور التي تخص حياة الإنسان ومصيره، ولا يمكن للإنسان الوصول إلى تلك الحقائق بمجهوده الشخصي أو الفردي، فالإنسان منذ القدم يبحث عن حقيقة الكون، وذلك لأنه يريد أن يفهم أسرار بداية الحياة ونهايتها، وحقيقة الخير والشر وكيف يتم صوغ الإنسان من أجل الإنسانية، وكيف يتم تنظيم جميع أجهزة الحياة حتى يكون بإمكان الإنسانية أن تمشي نحو الأمام نحو طريق الخير والرفاهية.....

ولم تستطع أن تحقق تلك الجهود النجاح إلى حد الآن.¹¹⁰

هذا السر هو ضرورتنا الكبرى هذا من جهة، ولكن من جهة أخرى لا يمكن لنا أن نحصل عليه بجهودنا وحدها فقط....

هذا مثال من الأمثلة التي تبين مدى حاجتنا العظمى "للوحي" فهذا السر مهم، ثم الخروج بسر الحياة عن محيط قدرة الإنسان، يبرز ضرورة وجود المعرفة من الخارج أيضا، مثل الضوء والحرارة هما هيتا من الخارج ولكن تتوقف عليها حياة الإنسان "وفي رأي وحيد الدين خان أنه لا بد من مقياسين لاختبار الأنبياء:

أولا: أن يكون رجلا مثاليا بصورة غير عادية فإن الذي يصطفى ليكون كليم الله، وليكشف للإنسان برنامج الحياة وسرها لا بد أن يكون أسمى شخصية في النوع الإنسان كما لا بد أن يكون حاملا مثل الحياة العليا، فإذا كانت حياته الذاتية متصفة بهذه الصفات فهي أكبر دليل على ما يقول، إذ لو كانت دعواه باطلة لما كان ممكنا أن تتجلى هذه الحقيقة الكبرى في حياته الذاتية، حتى تسمو به فوق سائر الإنسانية خلقا وشمائل.

ثانيا: أن يكون كلامه ورسالته مملوئين بجوانب يستحيل حصولها للإنسان العادي ولا تؤمل إلا ممن ظفر بمعرفة رب الكون بحيث لا يمكن للعامة محاكاة ما جاء به النبي من وحي الله".¹¹¹

¹¹⁰ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 141-143-144.

¹¹¹ - انظر: مصدر نفسه، ص 146-149.

من خلال القرآن الكريم يتضح لنا أن الرسل جميعا يشتركون بأمر واحد وهو الرسالة، ومن مهامهم الأساسية إحاطة البشر المعاصرين بالخطة الربانية حتى لا تكون للناس حجة في الآخرة بعد إرسال الرسل، بأنه لم يخبرهم أحد عن الحقيقة.¹¹²

الفرع الرابع: طريقة الاستدلال على إعجاز القرآن

تحدى القرآن الكريم البشر على أن يأتوا بمثله، ولو بأية واحدة، ولو من بعد قرن من الزمن فلم يستطيع أحد أن يأتي بمثله، تحدى القرآن البلغاء والفصحاء أيضا. والجانب العظيم الذي يتجلى فيه الإعجاز هو التنبؤات التي أخبر بها القرآن التي ثبتت صحتها فيما، بعد بطرق عجيبة.

وذكر وحيد الدين خان أنموذجا هو البيان الشيعي المعروف، الذي صدر سنة 1848م، تنبأ بأن أول البلاد التي ستقود الثورة الشيوعية هي ألمانيا، ولكن ألمانيا، على الرغم من مضي مائة وعشرين عاما من هذه النبوءة، ولا تزال صفحات تاريخها خالية من مثل هذه الثورة.¹¹³

وقال كار مركس: "إن الجمهورية الحمراء تبرز في سماء باريس" رغم أنه قد مر على هذه النبوءة أكثر من قرن، فإن الشمس الجمهورية الحمراء البازغة لم تشرق على أهالي باريس!.

هناك العديد من التنبؤات التي أخبر بها القرآن وأثبت صحة فيما بعد بخلاف التنبؤات التي أصدرها كثير من الناس، ولكن بمرور الوقت جاء تكذيبها، وما دامت الدراسة في ضوء العلوم المادية، فلن تستطيع إدراك حقائقها، إلا أن تنسب إلى مصدر غير شرعي.

ومن خلال هذا المطلب نخلص إلى أن وحيد الدين خان ناقش ضد منكري الدين بعض الموضوعات القديمة منها استدلاله على وجود الله ووجود الرسالة وإعجاز القرآن والتي أثبتتها طريقة علمية.

¹¹² - انظر: وحيد الدين خان، القضية الكبرى، مصدر سابق، ص 27.

¹¹³ - أنظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 161 - 171.

المطلب الثاني: موضوعات الحديث:

الفرع الأول: التشريع:

من المشكلات الأساسية للحضارة التشريع أو الدستور، تنشأ هذه المشكلات عن طريق علاقة الفرد بغيره، والذي يحدد هذه العلاقة هو التشريع ويقوم بتحديد لها على سبيل أسس من العدل والإنصاف. يقول وحيد الدين خان "إن الإنسان لم يفلح إلى الآن في الكشف عن دستور لحياته! صحيح أن الدول في العالم قائمة على أسس الدستور: ولكن هذه الدساتير مخففة تماما في الوصول إلى أهدافها بل لا يوجد هناك ما يسوغ وجود هذه الدساتير سوى أنها تنفذ بالقوة والإجبار."

يوضح خان إخفاق الدساتير في تحقيقي ما نشأت لأجله وعملية تنفيذها.

ومن المعروف لرجال القانون أن جل الدساتير المنتشرة في العصر الحالي لا علاقة لها بالأسس العلمية والنظرية التي تخير بقائها.

وخاصة هذا الموضوع فقد وضعت كتب لا حصر لها حوله، وبذل العلماء كل ما بوسعهم للبحث عن مقومات القانون، ولكن رغم المجهودات التي بذلت إلا أن العلماء لم يوفقوا في الحصول على صورة تفق عليها من القانون، وقد تعقدت بهم السبل حتى قال أحد الخبراء: (لو طلبت من عشرة خبراء أن يعرفوا القانون فعليك أن تستعد لسماع أحد عشر جوابا!!).

انقسم خبراء التشريع إلى مدارس فكرية متعددة، ولكن بالرغم من -تعدد المدارس- فإننا لا نجد لبعض كبار علماء القانون فيها مكان!¹¹⁴

والسبب الذي جعل خبراء التشريع مختلفين فيما بينهم يعود إلى عدم توصل العلماء إلى أساس صحيح يمكن إنشاء صرح التشريع عليه. لا يجد خبراء التشريع من خلال محاولة جمع القيم في الهيكل الدستوري أنه يستحيل وضع القيم في ميزان واحد، ورجل القانون في محاولته هذه يشبه الرجل الذي يزن مجموعة من الضفادع بمجموعة أخرى مماثلة، فكلما وضع مجموعة في كفة وجد أن ضفادع الكفة الثانية وقد وثبت إلى الماء مرة أخرى.

¹¹⁴ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 207-208.

ولكن هاته الجهود لم تنجح وفشل خبراء التشريع في الحصول على الدستور المثالي¹¹⁵

ولقد شن المحدثون من العلماء حملة شديدة على القول بأن القانون مرسوم لصاحب السيادة و قالوا: إنه لا يمكن منع انحرافات الحكام إلا إذا كان (رضا الشعب العام) ودعامة أساسية في التشريع ... وأنكر العلماء أي قانون أو دستور لا يجزى رضا الجماهير، وأنجر على ذلك أن ضوابط كثيرة، يجمع على صحتها أفادتها جميع أهل العلم و معلمي الأخلاق، لا يمكن تنفيذها، لأن الشعب لا يوقف عليها. وعلى سبيل المثال لم يتمكن الأمريكيون من إدخال قرار يحرم الخمر لأن الشعب لم يرض عنه ...

اختلف العلماء أيضا حول قابلية القانون للتغير، لقد لقيت نظرة (القانون الطبيعي) رواجاً كبيراً في القرون الوسطى، وفي العصور التي تلتها، ومؤداها أن الطبيعة البشرية هي المصدر الحقيقي للتشريع. وقد قدمت هذه النظرية أساساً كونياً للمشرعين، فقليل: إنه من دستور موحد صالح لكل العصور وهذه هي نظرية علماء القرنين السابع والثامن عشر حول القانون.

بعدها جاءت مدرسة أخرى ادعت استحالة معرفة الأسس الكونية للدستور، وقد قضت هذه المدرسة على تحكمه واستقراره، فهي تدعو الإنسان إلى فكرة التغير العمياء، إلى قلب جميع القيم الإنسانية رأساً على عقب. وهناك مدرسة أخرى تدعو إلى تسجيل عدد كبير من مقومات العدل في التشريع.¹¹⁶

بالرغم من المجهودات المبذولة منذ آلاف السنين، إلا أن الإنسان لم يستطع الكشف عن أساس واقعي للتشريع، ويوم بعد يوم يشعر رجال التشريع بالمرارة وخيبة الأمل، لأن الفلسفة الحديثة لم تنجح في بحثها عن أهداف الدستور.¹¹⁷

¹¹⁵ - انظر: مصدر سابق، ص 209.

¹¹⁶ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 209-210.

¹¹⁷ - انظر: مصدر نفسه، ص 210-211.

أسهم الدين إسهاما فعالا في وضع دساتير الزمن القديم ... وحين وقت الاعتراف بالحقيقة القائلة "بأن الدساتير لا يستطيعون وضع دستور لهم بدون هدى الله، و لإننا نجد في الدين جميع الأسس اللازمة التي يبحث عنها المشرعون لصياغة دستور مثالي، ولكن يتضح هدف ما نقول،

تأتي بالدراسة الوجيزة: التالية لبعض أهم مشكلات التشريع الإنساني وهي: المصادر والعناصر الأساسية للتشريع.¹¹⁸

أ- مصادر التشريع:

لم يتوصل خبراء التشريع إلى حد الآن إلى أجوبة عن أهم أو أول الأسئلة التي تطرح بخصوصه تشريع ما هو البحث عن مصدر هذا التشريع أي السؤال عن واضعه ما الذي يعتمد عليه واضع التشريع حتى يصبح نافذ المفعول. ولو أننا حولنا هذا الامتياز للحاكم، لكونه حاكما فقط، فليس هناك أساس نظري وعلمي يسمح بتمتعته -وهو أو شركاؤه في الحكم - بذلك الامتياز ثم إن هذا التحويل من ناحية أخرى لا يجدي نفعا، فإن إطلاق أيدي الحكام ليصدروا أي شيء لتنفيذه بوسيلة القوة - أمر لا تطبقه ولا تحتمله الجماهير - ولو أننا حولنا سلطة تشريعية لرجال المجتمع، فهم الأكثر جهالة وحماقة، لأن المجتمع -أي مجتمع- إذا نظرنا إليه ككل، نجده لا يتمتع بالعلم والعقل والتجربة، وهي أمور لا بد منها عند التشريع. فعامة الجماهير لا تستطيع الحصول على هذا العمل، لأنه يتطلب مهارة فائقة وعلماء وخبرة وإذا أراد فإنه لن يجد الوقت الكافي لدراسة مشكلات القانون وفهمها.

ولكي يخرج رجال القانون من المشكلة توصلوا إلى حل وسط، يتمثل في القيام (البالغون) من أفراد المجتمع بانتخاب ممثلين لهم، وهؤلاء بدورهم يصدرون التشريعات باسم الشعب.

ولكن هذا الحل الوسط يتصف بالحماقة، حيث نجد أن حزبا سياسيا لا يتمتع إلا بأغلبية 51% من مقاعد البرلمان يحكم على حزب الأقلية الذي يمثل 49% من أفراد المجتمع البالغين. كما أن هذا الحل يحتوي على فراغ كبير جدا تنفذ منه (أقلية) لتحكم على أغلبية السكان.¹¹⁹

¹¹⁸ - انظر: مصدر سابق، ص 212، 213.

¹¹⁹ - انظر: المصدر نفسه، ص 214، 215.

يستجيب الذين لهذا التحدي الخطير، الذي بدوره قد يدمر سعادة البشرية كلها..، أنه يقول -أي الذين - إن المصدر التشريع هو (الله) وحده، خالق الأرض والكون ! فالذي أحكم قوانين الطبيعة هو وحده الذي يليق أن يضع دستور حضارة الإنسان ومعيشتة. وليس هناك من أحد غيره سبحانه، يمكن تخويله هذا الحق

لقد توصلنا بعد هذه الإجابة إلى المكان الحقيقي من التشريع والمشروع، بعد عجزنا المضي خطوة ما في ظلام الظلالة عن الهدي الحقيقي.

إنه لا يمكن قبول إنسان حاكما ومشعرا للإنسان، ولا يتمتع بهذا الحق إلا خالق الإنسان، وحاكمه الطبيعي الله.¹²⁰

ب- العناصر الأساسية للتشريع:

تطرح العديد من الأسئلة لدي علماء القانون أهمها تحديد عناصر التشريع... كون جميعها إضافية، أو هناك عنصرا محددا أو عناصر أساسية، لا تستطيع حذفها في أي دستور عند تعديله، أو تجديده أو تغييره...

لم يمكن خبراء التشريع من الوصول إلى اتفاق في هذا الصدد رغم البحوث الطويلة التي أجريت في هذا الباب. ويسلم خبراء التشريع، نظريا، بأنه لا بد من عنصر في التشريع يتمتع بالدوام والأبدية، مع عناصر أخرى تتصف بالمرونة، فيمكن الاستغناء عنها عند الضرورة. ويرون أيضا أن افتقار الدستور إلى أحد العنصرين: (الأبدي والإضافي) سوف يكون مصدر شقاء دائم للبشرية.

لا يمكن التوصل إلى أساس يميز بين عناصر القانون الذي وضعه الإنسان، بعضها من بعض، فكل عنصر يدعي أنه يتصف بالدوام يجب عليه تقديم دليل على ما ادعى، وهو عاجز تماما عن الإتيان بذلك الدليل، فقد نرى اليوم عنصرا من عناصر الدستور، صالحا للدوام، ثم يأتي رجال الغد يعلنون الاستغناء عن ذلك العنصر من دستورهم، بما أن الدستور يصاغ بناء على رغبات الشعب، فقد لا يعجبهم ذلك، أو يرونه قد فقد صلاحيته بمضي الزمن.¹²¹

¹²⁰ - أنظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 216.

¹²¹ - أنظر: مصدر نفسه، ص 217-218.

أما الحل الوحيد لمشكلتنا فهو (الشرع الإلهي) الذي يمنحنا جميع العناصر الأساسية الضرورية، فهذا الشرع يصنع جوانب أساسية جذرية ثم يترك الباقي مفتوح الاجتهادات المختلفة، بحسب الزمان والمكان.

يحدد الشرع الإلهي العناصر الأساسية وغير الأساسية بالنسبة لأي دستور. وكذلك يتصف الشرع الإلهي ويتمتع بدليل الترجيح أن نعتبره حقا، وأن نعتده الكلام الأخير في الموضوع، الذي لا كلام بعده. وذلك ما يميز التشريع الإلهي، لا يستطيع الإنسان أن يأتي بدليل عنه.¹²²

الفرع الثاني: المرأة والمجتمع

إن الإسلام لا يساوي بين المرأة والرجل، فالإسلام يحرم العلاقات الحرة بينهما. وقد أخذ العلماء عند بدء العصر العلمي يسخرون من هذه القوانين، وأطلقوا عليها، مخلفات العصر الجاهلي.

وقالوا بشدة: إن الرجل والمرأة متساويان، ويرثان النسل الإنساني بطريقة متساوية، ولسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقبات في طريق علاقتهما الحرة.

وقد أنتجت هذه الفكرة مجتمعا جديدا في الغرب. بيد أن التجارب المكثفة والطويلة المبررة التي مرت بها الإنسانية بعد إباحة العلاقة الحرة بينهما هي اقصى ما عاناه البشر؛ فقد أثبتت هذه التجارب أن المرأة والرجل لا يتساويان فطريا ولا طبيعيا، وأي مجتمع قائم على أساس مساواة المرأة والرجل سوف يسبب خرابا ودمارا عظيمين للحضارة البشرية.

أ- الحقيقة الأولى في أمر مساواة الرجل والمرأة تتمثل في أن كل من المرأة والرجل يختلف عن الآخر في نوعية الكفاءة الطبيعية، ومن يعتبرهما متساويان فقد خالف قوانين الطبيعة في حد ذاتها.¹²³

ولقد صدقت التجارب العلمية نتائج هذه الفوارق الطبيعية بين المرأة والرجل، يتقدم المرأة في الميادين التي كانت تعتبر حكرا على المرأة في الماضي.

ونقدم مثالا المرأة فشلت فيه تحقيق المساواة مع الرجل حقل السينما، حيث أن الرجل ليس هو من يقوم بإدارة كل ما هو متعلق بالسينما، ومع ذلك فهو يتقاضى أجرا أكثر من المرأة،

¹²² - أنظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مصدر سابق، ص 218.

¹²³ - انظر: مصدر نفسه، ص 230.

وقد بدأت حملة شديدة ضد ظاهرة العلاقات الحرة في صورة المقالات والكتب.

بدأ بعض علماء الغرب يشعرون بالكارثة التي تهدد حضاراتهم. وعلى الرغم من ذلك كله، إلا أنهم غير قادرين على فهم جذور الموقف.¹²⁴

ب- لقد أباح مشروع الإسلام "تعدد الزوجات" قامت ضجة كبرى ضد هذا التشريع، وأطلق عليه - هو الآخر- أنه "تذكّار العصر الجاهلي"

ولكن التجارب العلمية أثبت أنه كان التشريع المناسب للطبيعة الإنسانية، لأن سد باب الزوجات، إنما هو فتح لعشرات الأبواب غير الشرعية وتكاد تنعدم نسبة الأبناء غير الشرعيين في البلدان الإسلامية مقابل البلدان الغربية، وعلى سبيل المثال "بناما" فقد تجاوزت نسبة الأطفال الغير شرعيين فيها خمسة والسبعين في المائة، والذي حفظ البلدان الإسلامية من هذه نظام "تعدد الزوجات"

لقد استطاع هذا القانون الإلهي الحكيم أن يحمي بلادنا الإسلامية من كارثة محققة في هذا العصر.

فقد أكدت التجارب الإنسانية أن الإلهي القديم هو الذي كان مبنيًا على الحق، والرحمة الإنسانية.¹²⁵

بقيت المرأة تابعة للرجل في جميع عهود التاريخ. ومازال هذا الوضع قائمًا حتى في الدول الغربية المتقدمة. وقد أبطلت الأبحاث الأخيرة ما يدعيه أنصار تحرر المرأة أن هذا التباين ليس سبب طبيعي وإنما يعود إلى الأوضاع الاجتماعية التي أفرزت فروقا بصورة اصطناعية.¹²⁶

لم ينقطع الحديث عن قضايا المرأة في الفكر الإسلامي خلال القرن الأخير، فقد لقيت هذه القضايا في حقل الدراسات الفكرية والثقافية ذات النسق الإسلامي، اهتماما واسعا يفوق من الناحية الكمية ما لقيته قضايا أخرى عديدة من اهتمام، ما جعل الكشف عن حضور قضايا المرأة في الذهنيات الإسلامية، الالتفات إليها بصور وبواعث مختلفة، حرصت أن تحتل هذه المكانة البارزة في كتابات

¹²⁴ - انظر: مصدر سابق، ص 232 - 233.

¹²⁵ - انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 235 - 234 - 233.

¹²⁶ - انظر: وحيد الدين خان، المرأة بين الشريعة الإسلام والحضارة الغربية، تر: سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1414هـ - 1994م، ص36.

الإسلاميين حتى إنه يكاد لا يوجد كاتباً أو مفكراً أو فقيهاً أو مصلحاً إلا وألف في هذا الموضوع، أو اقترب منه بصورة من الصور، أو أعطى رأياً أو فكرة حوله¹²⁷.

ولعل أبرز ما يفسر هذا الاهتمام الكبير بقضايا المرأة في الأدبيات الإسلامية، هو ما فتحت هذه القضايا من معارك فكرية ساخنة، شكلت واحداً من أشد أنواع الاصطدام بين المنظومات الفكرية المتنازعة في رؤيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجال العربي والإسلامي، لأنها ترتبط بالحياة الاجتماعية العامة والخاصة للفرد، حيث يرتبط بها كل إنسان سواء كان رجلاً أو امرأة من جهات متعددة، ويتداخل معها في أنماط من العلاقات المتشابهة النسبية والسببية، وهذا الارتباط يلزم الجميع أن يواجهوا بأشكال مختلفة ما تفرزه قضايا المرأة من تساؤلات أو إشكالات أو مخاوف أو وجهات النظر، والأمر الذي يجعل المرأة تفرض نفسها على المجتمع برمته ويجري التعاطي معها كقضايا حرجة وحساسة في أغلب الأحيان.

ومنذ الاصطدام الحاد الذي حصل بين المنظومات الإسلامية وغيرها من المنظومات الفكرية الأخرى المغايرة، برزت قضايا المرأة في معترك السجلات الاحتجاجية الساخنة بين هذه المنظومات، واصطبغت بلونها¹²⁸

الفرع الثالث: التمدن.

لقد شرع دين الإسلام القصاص لمن قتل عمداً إلا أن يرضى ورثة القتيل بالدية، وقد تعرض هذا القانون إلى النقد الشديد من طرق رجال القانون، وأهم ما يستدلون به، إن معنى هذا التشريع أن تضييع نفس أخرى بعد أن ضاقت الأولى بالفعل ودفعهم هذا إلى إلغاء قانون الإعدام في كثير من البلدان.

لهذا القانون فائدتان:

¹²⁷ - انظر: ميلاد زكي، الإسلام والمرأة تحديد التفكير الديني في مسألة المرأة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008م، ص 59.

¹²⁸ - انظر: مرجع نفسه، ص 59-60.

الأولى: أن يقضى على هذه الجرائم، وذلك معاقبة مرتكب الجريمة، وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى عدم ارتكاب الجريمة من الأفراد الآخرين.

والدولة الوحيدة التي تطبق هذا الحكم هي المملكة العربية السعودية، هذا ما جعل نسبة القتل أقل نسبة بالنسبة إلى الدول العالم الأخرى، وذلك نتيجة العقاب الذي يتلقاه صاحب الجريمة.

والثانية: تتمثل في "الدية"، مع المراعاة التامة للنتائج، فإذا قتل الابن الوحيد لشيخ، فيجب على مرتكب الجريمة أن يدفع للشيخ أي والد المقتول مبلغا من المال يرضيه، فيعفو عن الجريمة لقاء المبلغ الذي تقاضاه. قد جعل التشريع الإسلامي حقا للدولة أن تأمر برفع مبلغ الدية، وإخماد فكرة الثأر.

ومن الحكمة العظيمة لوضع هذا التشريع، تؤكد تجربته أن غريزة القتل قد قضى عليها في البلاد التي طبقتها، كما أكدت التجربة أن البلاد التي ألغت هذا التشريع ارتفع عندها معدل الجرائم.

ومن خلال هذا المطلب نستنتج أن وحيد الدين خان ناقش مع معارضي الدين بعض الموضوعات الحديثة كالتشريع والمرأة والمجتمع والتمدن حيث نجده أثبت أن جميع التشريعات التي جاء بها البشر خاطئة وأن التشريع الإلهي هو الأصوب أيضا الإسلام لم يساوي بين المرأة والرجل بل فضل الرجل على المرأة لأحكام وعرض مسألة القصاص وأهميتها في المجتمع.

ومن خلال هذا المبحث نخرج بنقاط أساسية توضح منهج وحيد الدين خان من خلال ما عرضنا من آرائه في كتبه:

- أن كل ما جاء به الملاحدة من نظريات لإنكار وجود الله باتت بالفشل
- أثبت وحيد الدين خان بطريقة علمية إمكانية وجود الآخرة
- أثبت وحيد الدين خان الرسالة وإعجاز القرآن
- بين وحيد الدين خان أحقية التشريع الإسلامي وأنه الأصوب من بين التشريعات
- أعطى صورة حول مفهوم حرية المرأة في التشريع الإسلامي وذلك للمحافظة على مكانتها
- أن الدين الإسلامي وضع قوانين تظهر أنها صارمة وغير إنسانية إلا أنها في خدمة الإنسان هذا ما حاول وحيد الدين خان إبرازه.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ الغايات وتنال المكرمات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أما بعد:

فقد تم إنجاز هذا البحث بحول الله سبحانه، وعونه، وإننا لا ندعي فيه الكمال والإحاطة، وحسبنا أننا بذلنا فيه قصار جهدنا وكامل إمكانياتنا.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نذكرها في النقاط التالية:

1) أهم النتائج:

- ✓ تجديد علم الكلام له أهمية بالغة لأنه أساس بناء معالم الإسلام.
- ✓ وحيد الدين خان من الشخصيات التي دعت إلى تجديد علم الكلام.
- ✓ تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان يقوم على معطيات العلم التحريبي ويتعد قليلا عن المصطلحات الدينية.
- ✓ سار وحيد الدين في رده على المنكرين للدين بمنهج علمي نظرا لطبيعة الخصم الذي يؤمن بالعلم.
- ✓ يؤكد خان أن الوظيفة الجديدة لعلم الكلام الجديد هي تبين العقيدة الدينية بالأسلوب العلمي.
- ✓ لم يكن وحيد الدين خان أول من استخدم مصطلح علم الكلام الجديد لكنه انفرد بربطه بمصطلح آخر هو علم الكلام القرآني.

✓ ناقش وحيد الدين خان بعض الموضوعات التقليدية التي جاء بها الملاحدة منها انكار الوجود الإلهي ووجود الآخرة وإنكار الرسالة والقرآن وبعض الموضوعات الحديثة كالتمدن والمرأة والمجتمع والتشريع.

(2) أهم التوصيات:

ان موضوع تحديد علم الكلام من الموضوعات الجديدة في الدراسات العقائدية، لهذا نوصي بالإهتمام بها، ومحاولة التوسع والتعمق فيها والوقوف على المصادر الأصلية التي لسوء حظنا لم نستطيع أن نحصل عليها.

في ختام هذه الدراسة فإن أصبنا فمن الله وتوفيقه فله الحمد والفضل، وإن أخطأنا فهو من أنفسنا ومن الشيطان.

وصلّى الله على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

- 1- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تحديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر الحديث لبنان، ط2، 1386هـ / 1967م.
- 2- أبو الوفاء الغنيمي التفتا زاني، في علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة القاهرة، لا. ط، د.ت.
- 3- خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار / مايو 2002م، ج2.
- 4- خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار / مايو 2002م، ج6.
- 5- خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار / مايو 2002م، ج3.
- 5- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج2.
- 6- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، تر: جلال السعيد الحفناوي، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، 2012.
- 7- عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد مدخل لدراسة للاهوت الجديد وجدل العلم والدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2016م.
- 8- عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الحديث وفلسفة الدين، دار الهادي، مكتبة مؤمن من قريش، بيروت، د.ت.
- 9- عضد الله والدين القاضي عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، الموافق في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لا. ط، د. ت.
- 10- فهمي جدعان، أسس التقديم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق عمان، الأردن، ط3، 1988م.

- 11- محمد العبد، وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، لا.م، ط1، 1408هـ/1987م.
- 12- محمد باقر الصدر، موجز أصول الدين، تحقق عبد الجبار الرفاعي، ط1، بيروت، لبنان، دار الهادي، 1421هـ/ 2000م
- 13- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- 14- محمد شقير دارسات في الفكر الديني فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادي، لبنان - ط1، 1429هـ/ 2008م.
- 15- نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، تر: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت ، لا.ط، د. ت.
- 16- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، مكتبة الرسالة، لا.م، لا.ط. د.ت.
- 17- وحيد الدين خان، البعث الإسلامي المنهج والشروط، تر : محسن عثمان الندوي، دار الصحوة، ط1، 1405هـ/ 1984م
- 18- وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، دار النفائس، ط1، 1401هـ/1981م، 1407هـ/ 1987م.
- 19- وحيد الدين خان، القضية الكبرى، الرسالة للإعلان الدولي، القاهرة، لا.ط، د.ت.
- 20- وحيد الدين خان، المرأة بين الشريعة الإسلام والحضارة الغربية، تر: سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م.
- 21- وحيد الدين خان إمكانيات جديدة للدعوة الإسلامية، لا.ن، لا.م، لا. ط، د.ن.
- 22- ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقق عبد الله محمد الدرويش لا. ن، ط1، 1425هـ/ 2001م، ج1.
- 23- يوسف القرضاوي، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مكتبه وهبة القاهرة، ط2، 1419هـ/ 1999م،
- 24- يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدين، طبعة دار الشروق الأولى القاهرة، لا.ط، 1421هـ / 2003م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ-هـ
المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام.....	2
المطلب الأول: نبذة حول علم الكلام.....	2
المطلب الثاني: التجديد في علم الكلام	4
الفرع الأول: التجديد لغة.....	4
الفرع الثاني: التجديد اصطلاحاً.....	4
الفرع الثالث: المقصود بتجديد في علم الكلام.....	5
المطلب الثالث: تاريخ التجديد في علم الكلام.....	7
المطلب الرابع: مبررات التجديد في علم الكلام	12
المبحث الثاني: منهج التجديد في علم الكلام عند وحيد الدين خان.....	19
المطلب الأول: تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان.....	19
المطلب الثاني: عرض قضية معارضي الدين ونقدها	22
المطلب الثالث: ردود وحيد الدين خان على بعض شبهات الماديين.....	28
المبحث الثالث: تحليلات المعرفية العلمية عند وحيد الدين خان.....	30
المطلب الأول: الموضوعات التقليدية.....	30
الفرع الأول: طريقة الاستدلال على وجود الله.....	30
الفرع الثاني: طريقة الاستدلال على وجود الآخرة.....	34

41		الفرع الثالث: طريقة الاستدلال على وجود الرسالة
44		الفرع الرابع: طريقة الاستدلال على إعجاز القرآن
45		المطلب الثاني: الموضوعات الحديثة
45		الفرع الأول: التشريع
49		الفرع الثاني: المرأة والمجتمع
51		الفرع الثالث: التمدن
54		الخاتمة
57		قائمة المصادر والمراجع
63		فهرس الموضوعات